الباب الرابع

الاستعمار البريطانى فى حالة الدفاع

الفصل العاشر

بوادر اليقظة في الشرق الاوسط والادنى

كان النزاع الاستعماري الرأسمالي — قبل الحرب العامة — قائماً بين روسية وانكلترة في الشرق الاوسط ؛ وبين انكلترة وفرنسة ، وانكلترة وروسية ، وانكلترة وروسية وفرنسة من جهة والمانية من جهة اخرى في الشرق الادنى . على ان هذا النزاع المزدوج أخذ — منذ أوائل القرن العشرين وبعد اشتداد قوة الحملة الاستعمارية الجرمنية على الشرق الادنى — ينتظم في جهتين مسلحتين اذ سوت انكلترة اختلافاتها مع فرنسة في سنة ١٩٠٤ ومع روسية في سنة ١٩٠٧ لتدرأ عن نفسها الخطر الذي داهمها بدخول المانية ميدان الاستعمار وشروعها بتعزيز القوة البحرية . ولكن هذا التطور لم يخفف من شدة المنافسة الرأسمالية وانما أزاد المشاكل الاوربية تعقداً وساق دول الجهتين الى التسابق في ميدان التسلح استعداداً للمعركة الفاصلة التي أصبح وقوعها أمراً لا مناص منه ؛ فلم تلبث الرأسمالية الاوربية ان رأت نفسها تخوض بحاراً من الدماء وتتطاحن في مجزرة بشرية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً . ومع ان هذه الحرب الضروس التي دامت ما ينوف على ثمان وثلاثين شهراً لم تكن الفاصلة في النزاع الرأسمالي الاستعماري في الشرق الادنى والاوسط الا انها بدلت مجرى هذا النزاع بخروج المانية مدحورة وبانهيار عرش القيصرية الروسية وتفكك عناصر الامبراطورية النمسوية وزوال دولة آل عثمان . وقد تغير وجه هذا

النزاع بعد الحرب بظهور بوادر اليقضة بين شعوب الشرق وتوثبها للقيام على الاستعمار الذي سد بوجهها سبل الحياة ؛ وقيام الشيوعية فى روسية وأخذها جانب شعوب الشرق لمناهضة الرأسمالية الاوربية المستعمرة . وسنحاول ان نتتبع فى هذا الفصل سير هذه اليقضة فى تركية وايران والافغان ومصر والهند ؛ ونأتي فى الفصل التالي على بيان سياسة روسية الشيوعية فى الشرق ليتسنى لنا الوقوف على سياسة الاستعمار الانكليزي فى الوقت الحاضر وما يتعلق من هذه السياسة بالعراق بصورة خاصة .

* * *

النهضة التركية : تورطت حكومة الدولة العثمانية بنشوب الحرب بين الجبهة الجرمنية والحلفاء فى مأزق حرج وانقسم رأي رجال السياسة فيها ؛ فرأى بعضهم ، ومنهم جاويد بك ، ان تحتفظ الدولة بالحياد وتغتنم فرصة انشغال الدول الاوربية فى الحرب فتنظم شؤونها وتقوم أحوالها وتزيل عن سيادتها ما أصابها من الخروق من جراء الامتيازات الاجنبية والرقابة المالية ، ورأوا ان هذا الحياد يؤدي الى تحسن اقتصادياتها وتوسع نطاق تجارتها فلا تنتهي الحرب الا وتكون الدولة قد بلغت من القوة درجة لا يستطيع الاوربيون معها — وقد أنهكتهم المعارك — عرقلة سيرها والتدخل فى شؤونها ؛ وادعى العسكريون — مثل أنور وطلعت وجمال — ان الشرف الوطني يفرض على الدولة أخذ جانب حليفتها المانية ، وكانوا يعتقدون ان لا سبيل لخلاص الدولة الا بانخذال دول الحلفاء ففوز الحلفاء لابد وان يؤدي الى استحواذ روسية على القسطنطينية والمضايق واستيلاء فرنسة على سورية

وانكلترة على بلاد العراق ، ورأوا ان حكومة السلطان باخذها جانب المانية تستطيع ان تنزل بالحلفاء أعظم الاضرار بسدها المضايق وبمهاجمتها قناة السويس وباعلانها الجهاد في شمال افريقية وفي البلاد العربية والهند فتجعل من هذه الحرب وسيلة للانتقام من أعدائها الالداء وسبيلاً الى الخلاص . ولكن الالمان أرادوا أول الامر ان تبقى الدولة العثمانية على الحياد لأن ذلك يجعل باستطاعتهم ان يستوردوا منها المواد الخام والاغذية ويتموا انشاء مشروع سكة حديد بغداد من غير ان يقطع عليهم الاسطول البريطاني سبل الاتصال بهذه البلاد التي أصبحت بقبضتهم ؛ وكانوا يعتقدون ان دخول هذه الدولة الحرب الى جانبهم يفسح المجال للاستعمار البريطاني لينشب فيها أضفاره لاسيما وهي مفتقرة كل الافتقار الى جميع وسائل التعبئة السريعة . ولكن الجبهة الجرمنية بعد انحذالها في معركة المارن وفي غاليسية أصبحت بحاجة ماسة الى معونة الدولة العثمانية فاخذ الالمان يحرضون رجالها على اعلان الحرب على الحلفاء حتى تم لهم ذلك في أوائل تشرين الثاني سنة ١٩١٤ بعد ان استوثق أنور باشا وزير الدفاع وجمال باشا وزير الحربية من ان الاستعدادات للحرب قد تمت ، واضطر المعارضون — جاويد بك وأربعة من زملائه — ان ينسحبوا من الوزارة تبرئة لذمتهم من تورط الامة في حرب اعلنت لمصلحة الاستعمار .

وبدخول الدولة العثمانية الحرب نشط الاستعماريون الالمان من جهة والانكليز من جهة اخرى الى اقتراس هذا الحمل الذي ألقى بنفسه بين الذئاب . وكان الانكليز يعدون العدة للاغارة على أملاك الدولة فكان

اللورد كرو وزير الهند منشغلاً بوضع الخطط لصيانة المصالح الامبراطورية في العراق والخليج الفارسي ؛ وأعد الجنرال السر ادموند بارو — سكرتير الشؤون العسكرية لحكومة الهند — تقريراً[١] حول ما تستطيع ان تسديه حكومة الهند من الخدمات في حالة نشوب الحرب مع الدولة العثمانية ، فاقترح احتلال البصرة حالاً واتخاذها مقراً لأعمال إثارة العرب وتحريضهم على شق عصا الطاعة على الدولة . وكان المستر ونستن تشرشل — رئيس ديوان البحرية البريطانية — يدعو الى التحالف مع اليونان لمهاجمة القسطنطينية والمضايق وقد كتب مذكرة بذلك مؤرخة في ١٩ آب ١٩١٤ الى السر اوورد كرى وأكمل جميع التدابير في ٤ ايلول للقيام بهذا الهجوم ، وأبرق في ٢١ ايلول الى الاميرال كاردن في مالطة ان ينسف الدارعتين العثمانيتين حالما تظهران خارج المضايق ؛ وكان المستر تشرشل يعتقد ان انخذال المانية أو فوزها يقاس بمقدار ما يكون لها من النفوذ في الشرق الادنى وان القضاء على ما لها من السيطرة في ممتلكات الدولة العثمانية يستلزم سوق حملة على العراق واخرى على سورية وثالثة على المضايق ، وان احتلال القسطنطينية معناه الفوز بالحرب[٢] . وكانت حكومة الهند قد أصدرت أوامرها خلال شهر ايلول سنة ١٩١٤ الى الفرقة الرابعة — بقيادة الجنرال ديلامين — بالسير الى

---

(١) Report of The Commission Appointed by Act of Parliament to Enquire into The Operation of War in Mesopotamia, Parliamentary Papers, 1917, No. Cd. 8610

(٢) W. S. Churchill, The World Crisis : 1910-1915 ص ٢٢٩ — ٢٣٥ من

الخليج فوصلت البحرين في ٢٣ تشرين الاول وفيها علم الجنرال ان الاوامر الصادرة اليه تقضي : باحتلال عبادان لصيانة مصالح شركة النفط الانكليزية الفارسية ، وتمهيد السبيل لانزال الجنود الى البر ، وتحريض العرب على القيام ضد الدولة واحتلال البصرة ان اقتضت الضرورة[١] . وكان السر ارثر هنري مكماهون الذي أصبح معتمداً سامياً في مصر بعد اعلان الحماية عليها قد اتفق مع شريف مكة في ٢٣ تشرين الاول سنة ١٩١٤ على ان يعلن الشريف الثورة على الدولة العثمانية فتعترف بريطانية باستقلال العرب وتمدهم بالمعونة . وهكذا نرى ان الانكليز كانوا يتوثبون للانقضاض على الدولة العثمانية من غير ان ينتظروا ما سينكشف عنه موقفها فكانت في نظرهم غنيمة يجب انتهابها على كل حال[٢] .

ولم تكد الدولة العثمانية تدخل الحرب في صفوف الجرمن حتى بدأت المفاوضات السرية بين الحلفاء لاقتسام أملاكها فقد تم الاتفاق بين بريطانية وفرنسة وروسية في آذار سنة ١٩١٥ على ان تكون القسطنطينية من نصيب القيصر ، ووافقت هذه الدول في معاهدة لندن — المنعقدة في ٢٦ نيسان من تلك السنة والتي انضمت ايطالية بموجبها الى جانب الحلفاء — على ان يحفظ التوازن السياسي في البحر الابيض المتوسط بمنح ايطالية عند اقتسام أملاك الدولة العثمانية حصة معادلة لحصة بريطانية وفرنسة وروسية . واعيد النظر في ٢٦ نيسان سنة ١٩١٦ في معاهدة لندن وعقدت على أساسها

---

(١) ص ٨ : Loyalties, Mesopotamia 1914–1917, Wilson وكان السر برسي كوكس يصحب هذه الفرقة للقيام بمهمة إثارة العرب

(٢) Parliamentary Papers, 1917, No. Cd. 8610

« معاهدة زازونوف — باليولوك السرية » بين فرنسة وروسية لتعيين حصتها من البلدان العثمانية ؛ وفيها منحت روسية ولايات طربزون وارضروم وبتليس ووان ومنحت فرنسة ما يعادل حصة روسية من البلدان المحاذية لها من جهة الجنوب على ان تعين الحدود بمفاوضة بريطانية والاتفاق معها ؛ وعلى ذلك جرت المفاوضات وتم الاتفاق بين الدولتين في معاهدة سايكس — بيكو في ٩ أيار سنة ١٩١٦ ، فعين لفرنسة سواحل سورية من طور الى الاسكندرونة وولاية سيليسية وارمينية الجنوبية من سيواس في الشمال الغربي الى ديار بكر في الجنوب الشرقي ومنطقة نفوذ واسعة تضم ولايات حلب ودمشق والدير والموصل ؛ وعين لبريطانية العراق من تكريت الى الخليج الفارسي ومن حدود الصحراء العربية الى حدود ايران ومنطقة نفوذ تحاذي منطقة النفوذ الفرنسي من جهة الجنوب وتمتد بين شبه جزيرة سينا والحدود الايرانية . وبقيت المفاوضات بين بريطانية وفرنسة وايطالية جارية لتعيين حصة ايطالية من هذه الغنيمة الى ان تم الاتفاق في نيسان سنة ١٩١٧[١] على ان يكون لايطالية النصف الجنوبي من بلاد الانضول بتمامه بما فيه ولايات ادالية وقونية وازمير ومنطقة نفوذ واسعة تمتد الى الشمال من ازمير[٢].

---

(١) St. Jean de Maurienne Agreement وقد عدلت هذه الاتفاقية في آب سنة ١٩١٧ بالنظر الى إصرار ايطالية على ان تكون حصتها مساوية لحصة حليفاتها

(٢) بعد ان بلغ البلشفيون — على أثر قبضهم على زمام الحكم في روسية — دول الحلفاء رأيهم بلزوم عقد الصلح بلا تعويض أو ضم وعلى أساس تحرير الشعوب ورفض الحلفاء هذا الاقتراح ، وكانوا ينادون في كل فرصة انهم لم يعلنوا الحرب الا لانقاذ البشرية من خطر الاستعباد الجرمني ولتحقيق الحرية وضمان الحياة الموفورة لجميع الشعوب ، نشرت الحكومة السوفيتية جميع ما كان لديها من أوراق ومستندات وزارة الخارجية

فلما تم النصر للحلفاء واضطرت الدول المغلوبة الى قبول شروط الهدنة وبوشر بمفاوضات الصلح شرعت دول الحلفاء — عدا روسية القيصرية التي زالت من الوجود — تستولي على ما أصابها من ممتلكات الدولة العثمانية بمقتضى نصوص المعاهدات السرية فاحتلت الجيوش الايطالية في نيسان سنة ١٩١٩ ولاية ادالية وما يجاورها من بلاد الانضول الجنوبية ، واستولت الجيوش الفرنسية في تشرين الثاني من هذه السنة على سورية وسيليسية ، وأخذت بريطانية توطد نفوذها في العراق وبلاد العرب .

القيصرية في جريدة الازفزيتا ، وكان في جملة هذه المستندات نصوص المعاهدات السرية التي عقدت في خلال الحرب ومن أهمها : الاتفاقية المتعلقة باستانبول وبلاد ايران ، ومعاهدة لندن المنعقدة في ٢٦ نيسان ١٩١٥ ، والاتفاقية الخاصة بتوزيع أملاك الدولة العثمانية في آسيا ، والاتفاقية بين الحلفاء ورومانية والمعاهدة الروسية اليابانية واتفاقية أراضي الراين . وكل هذه المعاهدات تناقض ما كان يجاهر به الحلفاء يومئذ وتثبت ان الحرب لم تعلن الا للاغراض الرأسمالية الاستعمارية ولاستغلال الشعوب واستعبادها . وقد حاول الحلفاء عبثاً تكذيب ما نشره الروس مدعين ان الشيوعيين يريدون بنشر هذه الاكاذيب إثارة الخلاف في صفوف الحلفاء وبث بذور الشقاق . وقد أعادت نشر هذه المعاهدات والاتفاقيات يومئذ جريدة « المانشستركارديان » و « الديلي هيرولد » و « نيويورب » (أو أوربة الحديثة) ونصوصها مثبتة في أكثر الكتب التي تبحث في تاريخ مؤتمر الصلح مثل :

Temperly, A History of The Peace Conference of Paris
Baker, Woodraw Wilson and The Peace Settlement

وقد جمعت في : Secret Treaties and Understandings, by S. F. Cooks.
Full Text of The Secret Treaties as Revealed at Petrograd
(Newyork, The Evening Post 1918)

اما نص اتفاقية سايكس — بيكو فقد نشر لأول مرة في جريدة « المانشستركارديان » في ٨ كانون الثاني سنة ١٩١٨ واعيد نشره في مجلة « الكرنت هستري » المجلد الـ ١١ (١٩٢٠) . ونشرت اتفاقية سنت جون دي ماربن في كتاب (Baker, Woodraw Wilson and The Peace Settlement) ص ٦٨ — ٧٠

ولم يبق من الدولة العثمانية في سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٠ غير آثار ماثلة للزوال ، فقد انتهبت أملاكها وانفصلت عنها البلاد العربية واحتل الحلفاء استانبول والمضايق وأزميد واستولى اليونان على أزمير (أيار ١٩١٩) والقسم الغربي من بلاد الاناضول وأصبح السلطان في استانبول أشبه بامين العاصمة ، وأمست الوزارة العوبة بيد الجيش المحتل ، وفرضت على الدولة معاهدة سيفر فقضت على البقية الباقية منها [١] وهكذا زالت الدولة العثمانية من عالم الوجود لتقوم على الاثر تركية الحديثة الناهضة .

وكان الشعب التركي يومئذ — وقد هجره رجال الحكم مثل أنور وطلعت وجمال بعد ان أوصلوه الى هذا الدرك السحيق [٢] — في أشد حالات اليأس والانحلال ، وكانت البقية الباقية من شبان الاتراك ورجالهم في حيرة من أمرهم وقد استسلم أغلبهم الى القنوط الا نفراً قليلاً فضل الموت على الحياة في ضل العبودية . وكان السلطان محمد الخامس قد توفي في آخر سني الحرب

---

(١) ص ٢٣ : Kemalist Turkey and The Middle East, by Dr. K. Kruger

(٢) غادر أنور وطلعت وجمال البلاد على أثر اضطرار الدولة العثمانية الى قبول شروط الهدنة في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩١٨ ، وكان الثلاثة مسؤولين عن كل ما أصاب البلاد من جراء انضمامها الى الجبهة الجرمنية وملازمتها المانية ؛ فذهب أنور باشا الى تركستان ، بلاد طوران سماء أحلامه وأمانيه — بعد ان حاول الالتجاء الى موسكو فخاب في مسعاه — وبقي يجاهد في صحاري تركستان في سبيل تحقيق أحلامه الذهبية حتى خر صريعاً في ساحة القتال ؛ والتجأ طلعت باشا الى برلين فبقي فيها حتى لقي منيته على يد أحد الارمن فدفن في مقبرة المسلمين في برلين سنة ١٩٢٩ بعد ان بقيت جثته المحنطة ملقاة في أحد الاقبية مدة ست سنوات ؛ ولقي جمال باشا حتفه في تفليس وهو في طريقه من موسكو قاصداً بلاد الافغان حيث كان يحلم في اقامة دولة حديثة فيها

فخافه وحيد الدين الذي لقب بمحمد الخامس ، وقد تسلم مقاليد الامور صنائع الحلفاء فتولى الداماد فريد باشا رئاسة الوزارة في آذار سنة ١٩١٩ . وأراد الانكليز بعد ان تخلصوا من منافسة الاستعمار الروسي والجرمني ان يغتنموا هذه الفرصة لاقامة امبراطورية جديدة في الشرق الاوسط والادنى تمتد من مصر والقسطنطينية الى نهاية حدود ايران وتشتمل على مصر وفلسطين وسورية وبلاد العرب والعراق وايران ؛ وتخترقها شبكة من السكك الحديدية تربط القاهرة بشرق الاردن و بغداد والهند ؛ وتكون سوراً منيعاً يدفع خطر السوفيتية الروسية عن امبراطوريتهم الهندية [١] وكانت رغبتهم في تحقيق هذه الامنية من أقوى العوامل التي ساقتهم لتحريض اليونان على الاغارة على بلاد الاناضول [٢] . حتى اذا كان اليوم التاسع من شهر أيار سنة ١٩١٩ أعلن بطريرق اليونان في استانبول ان اليونان المقيمين في البلاد العثمانية لن يعترفوا بعد اليوم باية صلة لهم بالدولة العثمانية ، وقطع على أثر بيانه هذا جميع

---

(١) ص ٢٤٦ — ٢٤٨ : A History of Nationalism in The East, by Hans Kohn وكان ثلاثة من أبرز رجال الوزارة البريطانية يؤيدون هذه الفكرة ويسعون لتحقيقها وهم المستر ونستن تشرشل والمستر لويد جورج واللورد بركنهيد

(٢) وكانت الرأسمالية اليونانية تسوق حكومة اليونان وتمدها بالاموال الطائلة في هذا النزاع أملا في الاحتفاظ بالسيطرة على تجارة الاناضول التي كانت العائلات الرأسمالية اليونانية (كعائلة Argentinis, Petrokokinos, Mavrogordatos, Khodolanakis, Rallis) قد قبضت عليها منذ نيف ومائة وخمسين عاماً ؛ وكان لها — عدا ذلك — نصيب وافر من منابع نفط القفقاز ومعادن حوض الدونتز ، وعدد كبير من الحصص في شركة فيكرس الانكليزية لاستخراج المعادن وصنع العتاد . وكان السر بيزل زاخاروف (زعيم شركات الاسلحة والعتاد والنفط) قد توسط أثناء وجوده في باريز بين هؤلاء الرأسماليين والمستر لويد جورج لضمان تعاون اليونان والانكليز ضد الاتراك . (ص ٢٤٧ — ٢٤٨ Hans Kohn, A History of Nationalism in The East)

صلاته بالباب العالي . وفي اليوم الـ ١٥ من أيار هذا نزلت الجيوش اليونانية في أزمير وراحت تكتسح البلاد المجاورة . فهاج هذا العمل من جانب اليونان والانكليز مشاعر الشعب التركي الذي لم يعد يستطيع الصبر على هذا الذل المرير فالتف حول الحركة الوطنية التي انبعثت من أعماق الانضول لطرد المستعمرين .

وكانت الحكومة العثمانية قد عينت مصطفى كمال باشا في ربيع سنة ١٩١٩ مفتشاً عسكرياً في بلاد الانضول[1] بايعاز من الانكليز فاغتنم هذه الفرصة لاعلان الجهاد الوطني وجمع حوله رجال الاتراك الذين هرعوا الى معونته ، وعقد برئاسته في خلال سنة ١٩١٩ مؤتمران وطنيان في أرضروم وسيواس قرر فيهما رفض جميع المعاهدات التي تمس بسيادة تركية . وعقد مؤتمر ثالث بتاريخ ٩ ايلول أصدر بياناً الى الامة كشف فيه رجال الحركة عن عزمهم على رفض كل ما هو دون الاستقلال في الشؤون السياسية والاقتصادية وازالة كل ما يمس بسيادة تركية الحديثة وطالبوا باجراء انتخابات عامة ودعوة المجلس ليصادق على ماتتخذه حكومة استانبول من الاجراءات . وفي اكتوبر استقال الداماد فريد فخلفه علي رضا في رئاسة الوزارة على أساس اجراء الانتخابات الى المجلس . وكان فوز الوطنيين في هذه الانتخابات عظيماً ، وقد حضروا المجلس الذي التأم في ١١ كانون الثاني سنة ١٩٢٠

---

(١) وكان مصطفى كمال باشا — وهو من سلانيك ومن أصل ألباني — قد برز في خلال الحرب العامة في معارك الدردنيل واشتهر بمقاومته لأنور وطلعت وجمال ومعارضته النفوذ الجرمني في الدولة والقيادة الجرمنية في الجيش وقد اختلف مع القواد الالمان مثل فون سندرس وفون فلكنهاين ، وانتهى به الامر الى الانسحاب من الجيش

ووقعوا في ٢٨ من هذا الشهر الميثاق الوطني ، وفيه شرحوا منهاج الحركة الوطنية التي اتخذت أنقرة مقراً لها . ولكن هذا المجلس كان قصير العمر ، فقد حالت دون بقائه سياسة الاستعمار البريطاني الذي أراد ان يقطع أنفاس الحركة وهي في المهد . وكان الانكليز قد أخذوا جانب اليونان دون قيد ، واحتلت جنودهم استانبول في مارت ١٩٢٠ ، وقبضوا على زعماء الاتراك وصحفيهم فنفوهم الى مالطة ، وأعادوا الداماد فريد الى رئاسة الوزارة وأوعزوا الى حكومته ان تعلن مصطفى كمال ورفاقه عصاة خارجين على الدولة وان تحل المجلس ؛ فعزز وا بمظالمهم هذه قوة الحركة الوطنية وساقوا حتى المعتدلين الى الالتفاف حولها والهروع الى نجدتها . وكانت أكثرية أعضاء المجلس قد هجرت استانبول الى أنقرة حيث استأنف المجلس اجتماعاته في ٢٣ نيسان . وفي ١١ مايس — بعد ان تم الاتفاق بين الحلفاء على اقتسام أملاك الدولة — سلمت مسودة معاهدة سيفر الى حكومة استانبول لتصديقها ، فخابت بها آمال أضعف الاتراك احساساً بالشعور الوطني ورفضتها حكومة استانبول ؛ فاوعز الانكليز الى الجيوش اليونانية ان تحتل تريس وأدرنة وبروسة وهكذا أرغموا حكومة الداماد على التوقيع عليها في ١٠ آب ١٩٢٠ . غير ان الاتراك أنكروا على حكومة استانبول جميع صفات المشروعية وشرعوا بدعوة ممثلي الشعب الى الاجتماع في أنقرة فحضر المجلس الذي عقد بتاريخ ٢٣ نيسان سنة ١٩٢٠ برئاسة مصطفى كمال مئتان وسبعون نائباً من المنتخبين الجدد وثمانون من النواب المهاجرين وانتخب هذا المجلس مصطفى كمال للرئاسة وعين هيئة تنفيذية مؤلفة من أحد عشر عضواً ؛ وأعلن بطلان جميع اجراءات

حكومة استانبول منذ ان احتل الحلفاء استانبول في ١٦ آذار ١٩٢٠ ، وفي جملتها التصديق على معاهدة سيفر ؛ وقرر ان يبقى منعقداً حتى تتحقق جميع أماني الامة وفي مقدمتها انقاذ السلطنة والخلافة وصيانة سيادة الدولة وسلامة الشعب . وفي كانون الثاني سنة ١٩٢١ صادق هذا المجلس على الدستور الجديد الذي جعل السيادة للشعب وحده وأودع السلطتين التشريعية والتنفيذية الى المجلس الوطني الكبير الذي اعتبر الهيئة العليا في المملكة . وقد تعزز موقف المجلس الوطني الكبير بما أحرزه من الانتصار في خلال شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ في سيليسية وفي أرمينية فتحرج موقف الجيوش الفرنسية واضطرت الجيوش الانكليزية الى التراجع الى أزمير واتخذت الجيوش الايطالية في أدلية ؛ واتجهت الى تركية المجاهدة أنظار الشعوب الشرقية المرهقة بسلاسل العبودية وأبدت الشعوب المسلمة عواطفها الاخوية نحوها وحمل اليها مسلموا الهند ما استطاعوا من المبالغ التي جمعتها جمعية الخلافة (١) .

وفي شباط سنة ١٩٢١ عقد الحلفاء مؤتمراً في لندن حضره ممثلوا حكومة استانبول وأنقرة واليونان . وكان بكر سامي بك يمثل أنقرة فعرض على الحلفاء مطاليب حكومته وأظهر استعدادها للتنازل عن أدرنة وتعيين حاكم مسيحي في أزمير وجعلها تحت الرقابة الدولية . ولكن الانكليز أوعزوا الى اليونان ان لا يقبلوا بهذه الشروط فاستمر القتال . وكان الانكليز يعرقلون

---

(١) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East ص ٢٤٧ — ٢٥٢ و Earle ص ٢٠٤ — ٢٠٥

على أنقرة كل محاولاتها لايقاف القتال ؛ فقد أوفدت حكومة أنقرة يوسف كمال باشا الى لندن في شباط سنة ١٩٢٢ ليتفاوض مع الانكليز فلم يعيروه اذناً صاغية ؛ وأوفدت في شهر آب فتحي بك فعرض على حكومة لندن موافقة أنقرة على اخلاء وحياد المناطق الاربعة المحاذية للمضايق مع تعهدها بان لا تسمح لقوة مسلحة في دخولها وان تكون تحت رقابة عصبة الامم ، ولكن وزراء بريطانية رفضوا مقابلة فتحي بك وكتموا عن الشعب الانكليزي معروضات أنقرة واستمروا يوعزون الى الصحف الاستعمارية ان تشنع على الشعب التركي وجهاده في سبيل الحرية[1] .

وكان الاتراك في هذه الاثناء قد توفقوا الى تسوية اختلافاتهم مع الفرنسيين والطليان واتفقوا مع روسية السوفيتية على التعاون ضد الاستعمار عدوهما المشترك فتفرغوا لمنازلة اليونان حتى استطاعوا ان يبددوا جيشهم في عشرة أيام ، فدخل مصطفى كمال باشا أزمير في ٨ ايلول سنة ١٩٢٢ . وأثار هذا الانتصار غيظ المستعمرين البريطانيين مثل لويد جورج وتشرشل الى أقصى الحدود ، فاذاع لويد جورج — رئيس الوزارة يومئذ — نداء في ١٦ ايلول الى الممتلكات البريطانية دعاهم فيه الى حمل السلاح ضد الاتراك وأوعزت الوزارة الى الجنرل هرنكتن قائد الجيوش المحتلة في المضايق بالقيام بما من شأنه ان يؤدي الى اعلان الحرب على الاتراك . ولكن هذه المجازفة أثارت استياء الشعب الانكليزي فضج الرأي العام من سياسة المستر لويد جورج والمستر تشرشل وانتهى الامر باستقالة الوزارة . وفي ٢٣ ايلول دعا

---

(١) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East ص ٢٥٢ — ٢٥٥

الحلفاء « حكومة المجلس الوطني الكبير في أنقرة » الى الدخول في مفاوضات الصلح فوقعت هدنة « المدينة » مع اليونان في ١١ تشرين الاول ودخلت الجيوش التركية استانبول في ١٩ منه . وفي ١ تشرين الثاني (١٩٢٢) اعلنت الجمهورية التركية وتم الفوز للأتراك .

وقد كشف هذا النزاع عن نوايا السياسة البريطانية وأزال ما كان عالقاً في أذهان الاتراك من حسن الظن بها وأوغر قلوبهم ضد الاستعمار البريطاني البغيض بما لا يمكن ان يزول ؛ اذ تبين لهم خلال كفاحهم هذا ومن الحوادث التي أعقبته ان لا خطر عليهم — ولاسيما بعد زوال القيصرية الروسية من الوجود — كخطر الاستعمار البريطاني الذي يكمن لهم وراء الحدود الجنوبية والجنوبية الشرقية وفي اليونان التي سيبقى يتخذ منها اداة لتحقيق أغراضه لوقوعها تحت رحمة الاسطول البريطاني[1] .

---

(١) فقد تم لتركية الاتفاق مع روسية السوفيتية كما سترى في الفصل التالي ، واستطاعت ان تدفع عنها خطر الاستعمار الايطالي بسهولة ، وان تكتسب معونة الفرنسيين الذين دفعتهم المنافسة المزمنة بينهم وبين الانكليز في الشرق الادنى (وقد عادت هذه المنافسة بين الدولتين حالما زال خطر المانية وظهر الخلاف من جديد حول اقتسام غنائم الحرب) الى التساهل مع الاتراك . وبينما كان الاستعمار البريطاني يريد ان تبقى تركية ضعيفة لكي لا تكون خطراً على قناة السويس وطريق الهند ولا تستطيع ان تمد يد المساعدة الى الشعوب المسلمة المستعبدة في مصر وبلاد العرب والهند ، كان الاستعمار الفرنسي يريد ان تكون تركية قوية قادرة على تسديد ديونها لفرنسة وان يجعل منها ميداناً لاستثمار رؤوس الاموال الفرنسية كما فعلت المانية قبل الحرب ويتخذ منها عوناً في النزاع مع الانكليز والروس في الشرق الادنى والاوسط ؛ وكانت الجيوش الفرنسية عند قيام الحركة الوطنية في الاناضول عاجزة عن الوقوف بوجه الاتراك ومنشغلة بالقضاء على الحكومة العربية في سورية ؛ ولهذا أسرع الفرنسيون الى مفاوضة الاتراك وتسوية خلافهم معهم فعقد الطرفان في ٩ آذار سنة ١٩٢١ الاتفاقية الفرنسية التركية في لندن وبمقتضاها وافق الفرنسيون على اخلاء سيليسية ،

عهد جديد في ايران (١) : بدت بوادر العهد الجديد في ايران منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وكانت تبريز في مقدمة الولايات الايرانية التي اتصلت بالغرب واستمدت من أوربا مبادئ الحرية والديمقراطية التي غمرت هذه القارة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ؛ فقد كان أميرها — عباس مرزا — أول من استعان بالاوربيين وأوفد البعثات الى أوربا وأسس المطابع وأخرج باللغة الايرانية كتباً تبحث في حياة نابليون و بطرس الكبير والاسكندر . وفي سنة ١٨٥٠ أنشأ المرزا تقي خان وزير ناصر الدين شاه صحيفة « ايران » وهي أول صحيفة صدرت في هذه المملكة . واتصل « الشيخ جمال الدين الافغاني » حامل لواء الوحدة الاسلامية بشبان ايران في أواخر

ثم عقدت الدولتان في ٢٠ تشرين الاول سنة ١٩٢١ اتفاقية اخرى اوقفت بموجبها الحركات العسكرية وعينت الحدود التركية السورية ومنحت الرأسمالية الفرنسية بعض المنافع الاقتصادية (Earle ص ١١٨ — ١٢٦) . وكان مما ساق فرنسة الى أخذ جانب الاتراك ضد الانكليز المنافسة بين الرأسمالية الاميركية والانكليز على النفط ، فقد استطاعت شركة ستاندرد بما كان لها من السيطرة على البنوك والصحف الفرنسية ولاسيما جريدة الماتان ان تشجع الحكومة الفرنسية على أخذ جانب تركية وتهيئ جواً مساعداً لهذا الاتفاق ، وكانت تطمع بنفط الموصل وسحق شركة شل الانكليزية . (Hans Kohn ص ٢٥٣)

وكانت ايطالية تنتظر بفارغ الصبر ان يتاح لها الخروج من هذه الورطة فقد لقي جيشها الخذلان أمام جيوش الاتراك في قونية وأدالية وكانت حكومتها عاجزة عن ارسال النجدات ولم يبق لها أمل في تحقيق ما كانت تصبو اليه في آسيا الصغرى بعد ان رأت انكلترة تساعد اليونان في التوسع فيها ولذلك اغتنمت فرصة اتفاق الفرنسيين مع الاتراك فعقدت معهم معاهدة ١٣ آذار سنة ١٩٢١ وتعهدت ان تؤيد مطاليبهم في مؤتمر الصلح ، لاسيما ما يتعلق منها بتريس وأزمير ؛ وانسحبت الجيوش الايطالية من الاراضي التركية على الاثر . (Earle ص ٢٢٤) (وكذلك Kruger الفصل الثامن)

(١) اعتمد في هذه الخلاصة عن نهضة ايران على كتاب (Haus Kohn A History of Nationalism in The East) الفصل العاشر ص ٣١٩ — ٣٤٠

القرن التاسع عشر فبذر في نفوسهم بذور الافكار العصرية وفكرة اصلاح أحوال البلدان الاسلامية التي كرس لها حياته وطاف الممالك يبشر بها[١] . وظهر في ايران مصلح آخر اسمه ملكوم خان كان معلماً في طهران ثم عين سفيراً لايران في لندن ؛ وفي أثناء وجوده فى العاصمة الانكليزية اقترح على الشاه اجراء بعض الاصلاحات الداخلية فى الادارة والقضاء. فلما لم يلتفت الشاه الى مقترحاته استقال من منصبه وأصدر عام ١٨٩٠ جريدة « القانون » فى لندن وكان يهربها الى ايران فاستطاع ان يذكي بواسطتها روح الاصلاح ؛ وأسس بتأثير دعايتها أول محفلين الماسونية فى ايران .

وفى عام ١٨٩٦ تفتحت أول زهرة من زهور العهد الجديد باغتيال أحد الشبان الاحرار الشاه ناصر الدين[٢] . وكان الشاه الجديد — مظفرالدين —

---

(١) ولد جمال الدين في أفغانستان سنة ١٨٣٨ وطاف البلدان الاسلامية فى الاربعين الاولى من حياته يذكي فى نفوس شبانها روح الجهاد فى سبيل اصلاح شؤون بلدانهم ، واستقر فى مصر الى ان أرغم المستعمرون حكومتها على ابعاده عنها فى ايلول سنة ١٨٧٩ فالتجأ الى الهند حتى اضطر الى النزوح عنها سنة ١٨٨٢ فقضى سبع سنوات يطوف عواصم أوربا مثل لندن وباريس وبترسورك . واشترك مع الشيخ محمد عبده فى تحرير جريدة عربية أصدراها فى باريس . وفى سنة ١٨٨٩ دعاه الشاه ناصر الدين الى ايران فاقام فيها مدة عامين استطاع فى خلالها ان يجمع حوله نخبة من شبانها ويبث فيهم فكرة اصلاح الممالك الاسلامية ولكنه اختلف مع الشاه فاضطر الى مغادرة ايران الى انكلترة حيث التقى بالمصلح الايرانى ملكوم خان فى لندن ، وأمضى الخمس سنوات الاخيرة من عمره فى الاستانة ، وكان السلطان عبدالحميد قد خصص له راتباً شهرياً جزاء خدماته للوحدة الاسلامية ، ولكن السلطان المستبد كان فى ريبة من أفكار جمال الدين الحرة حتى ان البعض يعتقد انه قضى عليه فى جملة من ذهبوا ضحية سمومه وقد قضى الشيخ نحبه عام ١٨٩٧

(٢) وقد اعترف هذا الشاب انه اندفع الى اغتيال الشاه بتأثير أفكار الشيخ جمال الدين الافغاني الذي اتصل به فى استانبول

أكثر ضعفاً من سلفه فازدادت فى عهده الفوضى وسوء الادارة والرشوة وكثرت المظالم وتوسع نفوذ الاجانب ؛ فنمت بهذه النسبة روح الاستياء والتمرد وازداد انتشار الافكار الحرة . وكانت روسية أول من استفاد من ضعف الشاه الجديد فابتزت منه امتيازات واسعة النطاق أهمها امتيازات انشاء السكك الحديدية ، وأرغمته على ان يستقرض المبالغ الجسيمة التي احتاجها لتلافي العجز المستمر فى خزينة الدولة من البانق الروسي[1] بدلاً عن البانق الانكليزي[2] . واشتدت المنافسة فى هذه الاثناء بين الاستعمار الروسي من جهة والاستعمار الانكليزي من جهة اخرى وكانت روسية تسند الشاه والرجعية فاخذت انكلترة جانب الاحرار وجعلت تغذي روح التمرد .

وكانت الروح الثورية في ايران تستمد الوحي من الروح الثورية فى البلدان العثمانية وفى روسية مثلما استمدت الافكار الحرة من أوربا الغربية . ولهذا فقد انتعشت بانتعاش الحركة الدستورية فى الدولة العثمانية فلم تكد تندلع نيران ثورة سنة ١٩٠٥ فى روسية حتى اندلعت نيران الثورة فى ايران . وكانت مطاليب الثوار الذين جعلوا من مدينة « قم » مركزاً لهم مقتصرة أول الامر على طلب عزل بعض رجال الحكم الذين كانوا يسيئون الى الشعب . واشتد ازر الثوار فى سنة ١٩٠٦ - وكان الانكليز يؤيدونهم — فقدموا الى الشاه مطاليبهم وفى جملتها سن دستور المملكة فاضطر الشاه ان يعدهم باجابة مطاليبهم . وفى ١٩ آب صدرت ارادة الشاه

---

(١) Banque d' Escompte de Perse

(٢) Imperial Bank of Persia

بانتخاب « المجلس الملي » لأول مرة فانعقد أول مجلس فى ٧ تشرين الاول (١٩٠٦) . وتقدمت الصحافة خلال هـذه السنة تقدماً محسوساً ، وقرر المجلس تأسيس البانق الوطني ولـكن معارضة الرأسمالية الانكليزية والروسية حالت دون تنفيذ هذا القرار .

ولـكن الشاه محمد علي الذي جاء العرش فى أوائل سنة ١٩٠٧ كان منقاداً الروس الى أقصى حدود الانقياد فناصب حركة الاصلاح العداء فنشب الخلاف بينه وبين المجلس ، وعمت الاضطرابات فى أطراف المملكة بتحريض الرجعيين من رجال الدين وبتأثير دسائس الاستعمار الروسي . ونشرت المعاهدة الانكليزية الروسية لاقتسام ايران[1] فى ٣١ آب فاثارت استياءً عظيماً فى أوساط الاحرار وزادت فى نفرة الرأي العام من الشاه الذي اضطر ان يوافق على توسيع حقوق الشعب فى الدستور و يقسم يمين الاخلاص الدستور أمام المجلس ، ولـكنه عاد فطلب الى المجلس ان يحل الجمعيات السياسية السرية فلما لم يجب المجلس طلبه حاول ان يحدث انقلاباً فاوقف رئيس الوزارة واستعان بالرجعيين من رجال الدين على إثارة بعض العوام فهاجموا المجلس ودمروه ؛ ولـكن أنصار الحرية هبوا للدفاع عن الدستور فاضطر الشاه ان يتظاهر بالخضوع لمشيئة الشعب وأقسم يمين الاخلاص أمام المجلس مرة اخرى .

وكان الانكليز والروس بعد ان تم الاتفاق فيما بينهم فى معاهدة ١٩٠٧ قد وحدوا سياستهم وناصبوا الحركة الوطنية العداء وأخذوا يمدون الشاه

---

(١) راجع ص ٦٢

بالمعونة ضد الشعب حتى اذا تحرج موقفه اشترك سفيرا الدولتين فى تهديد الحكومة الايرانية بالتدخل اذا لم تتخذ الاجراءات ضد الجميات السرية المعادية للشاه . وفي ٣ حزيران سنة ١٩٠٨ بعد ان حاول بعض أعضاء هذه الجميات اغتيال الشاه فشلت محاولتهم خرج الشاه ومعه فرقة الحرس الخاص المؤلف من القوزاق والروس الى خارج العاصمة وأخذ يجمع جيشاً بمعونة روسية التي أقرضته الاموال خصيصاً لهذا الغرض ، فلما أتم التحضيرات أعلن الاحكام العرفية — وهجم القوزاق على المجلس فدمروا عمارته وقتلوا زعماء الاحرار — وأوقف الدستور وقضى على حرية الصحافة وأعلنت الصحف الاوربية وفي مقدمتها التايمس اللندنية (في ٢٥ حزيران) ان تجربة الديمقراطية في ايران قد فشلت . ولكن الشعب لم يستسلم للشاه وأنصاره من المستعمرين الروس والانكليز فنشبت للمعارك بين الطرفين واغتنمت روسية الفرصة فاحتلت القسم الشمالي من ايران الذي بقي بقبضتها الى ان وقع الانقلاب الشيوعي سنة ١٩١٧ . وكان فوز الحركة الدستورية في البلاد العثمانية قد شجع الايرانيين فبقوا يناضلون في سبيل الحرية الى ان استعادوا طهران في تموز سنة ١٩٠٩ وأرغموا الشاه والزعماء الرجعيين على الالتجاء الى السفارة الروسية . وفي ١٦ تموز اجتمع المجلس فاعلن خلع الشاه وتنصيب ابنه أحمد الذي لم يكن يتجاوز الحادية عشر من العمر خلفاً له . ولكن الروس والانكليز استمروا على عرقلة سير الحكومة الوطنية ومساعدة الشاه المخلوع على الرجوع الى عرشه فجهزوه بما يحتاج من العتاد والاموال فاغار على شمال ايران في تموز سنة ١٩١١ ولكنه ارتد مندحراً للمرة الثانية . وكان الانكليز والروس

في كل مرة يرغمون الحكومة الايرانية على ان تدفع اليه من خزينة الدولة مخصصات شهرية طائلة لكي تعينه على التآمر ضد المملكة ولمصلحة الاستعمار .

وكانت الحكومة الايرانية قد استقدمت المستر موركان شستر — أحد الماليين الاميركيين — لتنظيم مالية المملكة فنجح في وضع ميزانية متوازنة ولكن ذلك لم يرق روسية فطالبت الى الحكومة الايرانية فصله والتعهد بان لا تستخدم أجنبياً في مثل هذه الشؤون الا بموافقة سفيري روسية وبريطانية ؛ ولكن المجلس الايراني رفض هذا الطلب وأثار هذا الرفض حماساً عظيماً في صفوف الشعب واشترك حتى النساء في تأييد المجلس فكان يوم ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩١١ يوماً مشهوداً في تاريخ ايران . فارسلت روسية جيشاً الى العاصمة الايرانية وفي ٢٤ كانون الاول حلت المجلس وأقالت الوزارة وجاءت بوزارة جديدة أجابت مطالبها ؛ وأصبحت ايران بعد سنة ١٩١٢ تحت الحكم الانكليزي الروسي المزدوج وبقيت كذلك الى الحرب العامة التي أمست في خلالها ميداناً للقتال بين الروس والانكليز من جهة والاتراك والجرمن من جهة اخرى .

ولما انسحبت الجيوش الروسية بعد وقوع الانقلاب الروسي سنة ١٩١٧ تقدم الجيش الانكليزي بقيادة الجنرال دنسترفيل لاحتلال القسم الشمالي من ايران ولصد الجيوش الجرمنية وجيوش الثورة الروسية . وكانت الروح الوطنية قد استعادت شيئاً من نشاطها في هذه الاثناء فاسس بعض الوطنيين جمعية « اتحاد الاسلام » التي جعلت شعارها « ايران للايرانيين » وأخذت

تحث الشعب على مقاومة الاستعمار الانكليزي فلاقى الجيش البريطاني في الجنوب والجيش الذي تقدم بقيادة السر ولفرد مالیسون لمساعدة الحركة الرجعية في روسية مقاومة مسلحة من قبل الاهلين .

وفي سنة ١٩١٩ عينت الحكومة الانكليزية السر برسي كوكس ممثلاً لها في طهران ففاوض الحكومة الايرانية — وكانت برئاسة وثوق الدولة — واتفق معها على عقد معاهدة جعلت ايران تحت الحماية الانكليزية وضمنت للانكليز السيطرة على ادارتها وجيشها . ولكن المجلس رفض المصادقة على هذه المعاهدة وأرغم الوزارة على تقديم استقالتها في حزيران سنة ١٩٢٠ . وعجزت الوزارات المتعاقبة عن الحصول على موافقته فبقيت المعاهدة معلقة حتى جاء شباط ١٩٢١ فدبر رضا خان رئيس فرقة الحرس القوزاق انقلاباً أصبح على أثره وزيراً للحربية في وزارة الفها ضياء الدين أحد الصحفيين المتطرفين الذي أراد ان يحدث انقلاباً اجتماعياً في ايران بتوزيع الاراضي على الفلاحين والقضاء على طبقة الاشراف ورجال الاقطاع ومصادرة أملاك الاغنياء ولكنه فشل في مسعاه واضطر الى مغادرة البلاد فقبض رضا خان على زمام الحكم .

وكان سفير ايران في استانبول قد فاوض حكومة موسكو في تشرين الاول سنة ١٩٢٠ فأتم في ٢٦ شباط سنة ١٩٢١ عقد المعاهدة الروسية الايرانية التي انسحب الجيش الروسي على أثر ابرامها من شمال ايران . وفي ٢٢ حزيران انعقد المجلس الايراني الرابع فقرر بطلان المعاهدة الانكليزية كما قرر فصل الضباط الانكليز من الجيش الايراني واخراج المستشارين الانكليز

من وزارة المالية وصادق على المعاهدة الروسية الايرانية التي ضمنت تعاون الدولتين فى سبيل مقاومة الاستعمار فكانت هذه فاتحـــة العهد الجديد فى ايران[١].

وقد دبر رجال البلاط مؤامرة ضد رضا خان لـكنه اكتشف أمرها فكانت السبب المباشر لتوليه رئاســة الوزارة واجباره الشاه على مغادرة البلاد . وكان فى النية قلب ايران الى جمهورية كما جرى فى تركية ولـكن الرجعية — يقودها رجال الدين — حالت دون تحقق ذلك فاضطر رضا خان ان يسترضي الرجعيين فزار رئيس المجتهدين فى « قم » وقصد كربلاء والنجف وعند عودته الى ايران فى شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ قرر المجلس خلع الشاه والغاء حقوق العائلة القاجارية فى العرش الايراني وعين رضا خان رئيساً للدولة ثم نودي به ملـكاً فلقب بالشاه بهلوي الاول .

ومن أهم مظاهر هذا العهـــد الجديد فى ايران مقاومة النفوذ الاجنبي وتوحيد البلاد[٢] والقضاء على نفوذ رجال الدين ومطاردة الرجعية ورجال الاقطاع وتوثيق الصلات بتركية وروسية السوفيتية[٣] وتعزيز نفوذ الحـكومة المركزية وتنظيم مالية الدولة . وقد صادف جهاد الايرانيين فى خلال الحرب العامة وقوبل العهد الجديد فى ايران بمثل ما وجدت النهضة التركية الحديثة من المقاومة من قبل الاستعمار الانكليزي وصنائعه فكان لذلك أثر عميق فى

---

(١) راجع الفصل الحادي عشر

(٢) وكان من أهم ما قام به رضا خان من الاعمال قبيل تسنمه العرش القضاء على شيخ المحمرة حليف الانكليز وآلة الاستعمار

(٣) راجع الفصل الحادي عشر

نفوس الشعب الايراني لن يفسح معه المجال بعد لدسائس الاستعمار واستغلال الرأسمالية الغربية . وايران الحديثة حريصة جداً على صيانة سيادتها وهي مجدة في الوقت الحاضر لتطهير البلاد ولاسيما سواحل الخليج الفارسي من النفوذ الاجنبي حتى انها أرغمت بريطانية في السنوات الاخيرة على تخلية الاماكن التي احتلتها منذ زمن بعيد في هنجام وجزيرة قشم[1] .

* * *

مغامرات امان الله ضد الاستعمار[2] : بدت بوادر اليقضة في الافغان متأخرة وكانت الحركة الوطنية فيها منذ أول عهدها وثيقة الصلة بروسية لاسيما تركستان الروسية المتاخمة لها . وكان الانكليز في سعيهم لحماية امبراطوريتهم الهندية ودرء الاخطار عنها قد أعلنوا الحماية على بلاد الافغان وسيطروا على سياستها الخارجية واتفقوا مع روسية القيصرية على ان يجعلوا منها دولة محايدة تحول دون وقوع الصدام بينهما ؛ وكانت جميع صلات هذه المملكة بالبلدان الاجنبية تجري بواسطة حكومة الهند وكان محضوراً على أميرها ان يرسل السفراء الى الحكومات الاجنبية أو ان يقبل ممثليها في مملكته . وكانت المملكة بالرغم من شدة تمسك أهلها بعنعناتهم وحرصهم على استقلال بلادهم عرضة للاضطرابات التي كان يثيرها بين حين وآخر النزاع على العرش والخلاف بين القبائل . ولم يكن للحكومة المركزية فيها

---

(١) راجع ص ٦٤ — ٦٥

(٢) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East الفصل العاشر ٣٤١ — ٣٤٨

شأن يذكر حتى تسلم زمام الحكم فيها الامير عبدالرحمن عام ١٨٨٠ فعمل على توحيد المملكة وتعزيز نفوذ الحكومة وتقوية الجيش فسن الشرائع وأدخل الاصلاحات الادارية الحديثة . ثم خلفه ابنه حبيب الله سنة ١٩٠١ فاراد ان يتم العمل الذي بدأ به سلفه ويحقق استقلال الافغان فجعل مبدأ سنة ١٩٠٥ ملكاً على البلاد بموافقة الانكليز وأدخل قبيل الحرب العامة بعض وسائل المخابرات والوصلات الحديثة على أثر عودته من زيارة الهند كالتلغراف والتلفون ، وعبد الطرق وأسس المدارس والمصانع واستقدم ضباطاً من الاتراك لتنظيم الجيش . وكانت فكرة الوحدة الاسلامية في الافغان قد شاعت شيوعاً عظيماً فاستحوذت على نفوس الاهلين حتى كان الرأي العام الافغاني ميالاً كل الميل الى دخول الحرب العامة الى جانب العثمانيين ولكن الامير حافظ على حياد البلاد طيلة مدة الحرب فكان ذلك — على ما يدعي البعض — من جملة أسباب اغتياله في شباط سنة ١٩١٩ وقد أعقبه أمان الله خان فكان عهده فاتحة الجهاد في سبيل انقاذ المملكة من التدخل الاجنبي والقيام بالاصلاحات الداخلية التي استمد وحيها من النهضة التركية والانقلاب الروسي والتطور الذي حدث بنتيجة هذا الانقلاب في البلدان السوفيتية المجاورة التي يقطنها المسلمون[1] .

وفي نيسان سنة ١٩١٩ أعلن أمان الله خان استقلال الافغان وأوفد بعثة الى موسكو[2] برئاسة ولي محمد خان لمفاوضة حكومتها وتأسيس العلاقات

---

(١) راجع الفصل الحادي عشر

(٢) ولم يتجاسر أحد من امراء الافغان قبل هذا ان يخالف القاعدة التي فرضها

الدبلوماسية معها . وقد أثارت أعمال حكومة الهند في البنجاب مشاعر الشعب الافغاني ضد الانكليز وكانت العلاقات قد توترت بين الطرفين من جراء اصلاحات أمان الله خان حتى نشبت بينهما حرب انتهت بصلح « راوال بندى » في ٨ آب سنة ١٩١٩ الذي به أقرت بريطانية استقلال الافغان وجرت بين الحكومتين مفاوضات انتهت بعقد المعاهدة الانكليزية الافغانية في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢١[١] وأسرعت الافغان الخطى على أثر عقد هذه الاتفاقية فنشطت فيها حركة الاصلاح التي استمدت الوحي من روسية[٢] وأخذت حكومتها تؤسس العلاقات الدولية فعقدت المعاهدة الروسية الافغانية في ٢٨ شباط سنة ١٩٢١[٣] وأوفدت في سنة ١٩٢٠ بعثة الى بلاد ايران قوبلت بحفاوة عظيمة وعقدت في شهر تشرين الاول سنة ١٩٢٠ معاهدة مع الصين واخرى مع فرنسة وثالثة مع ايطالية وأنشأت العلاقات الدبلوماسية بينها وبين هذه الدول

الاستعمار البريطاني على الافغان بارغام الامير علي ان يجري جميع المخابرات والمفاوضات مع الدول الاجنبية بواسطة حكومة الهند

(١) وكان السر هنرى دوبس يمثل الجانب البريطاني في هذه المفاوضات . اما الفريق الافغاني فكان برئاسة محمود ترزي زعيم الحركة الاصلاحية ، وكان قد أمضى مدة في تركية ثم أصدر صحيفة في بلاد الافغان طالب فيها باعلان الاستقلال التام ومقاومه النفوذ البريطاني واجراء الاصلاحات الادارية ونشر التعليم . وكان ذلك على عهد حبيب الله الذي كان يرتاب من الاحرار ويخشى ان يؤدي نشاطهم الى المطالبة بالاصلاحات الدستورية . فلما جاء أمان الله العرش قرب محمود ترزي وجعله من مستشاريه في اجراء الاصلاحات التي يستلزمها تقدم المملكة وتحسين أحوالها

(٢) راجع الفصل الحادي عشر

(٣) راجع الفصل الحادي عشر

فاسست في كابل سفارة لفرنسة واخرى لايطالية والصين وأوفدت حكومتها الممثلين السياسيين الى العواصم الاوربية والشرقية واستقدمت الضباط والمهندسين والمعلمين من روسية وتركية وفرنسة وايطالية وشجعت الصحافة حتى صدر في كابل وحدها سنة ١٩٢٣ تسع صحف طلب الى جميع كبار الموظفين ان يشتركوا في اثنتين منها على الاقل تشجيعاً لها . وسن في سنة ١٩٢٢ دستور نص بتشكيل مجلس للدولة ومجلس تشريع وتعيين وزراء مسؤولين لجميع الدوائر الرئيسية ؛ وأسست المدارس الابتدائية والثانوية في جميع أطراف المملكة ، وفتحت جامعتان احداهما جرى التدريس فيها بالفرنسية والاخرى بالالمانية وأرسلت البعثات الى فرنسة . واجريت اصلاحات هامة في الادارة وفي اصول فرض الضرائب ووضعت في سنة ١٩٢٢ أول ميزانية للدولة وأعلنت الحرية الدينية . وازداد نشاط هذه الحركة على أثر زيارة أمان الله أوربا وتوثق العلاقات بينه من جهة وبين روسية وتركية من جهة اخرى . ولكن الاستعمار الانكليزي لم يكن غافلاً عن هذه التطورات الخطيرة التي تهدد سلامة الامبراطورية الهندية في الصميم ولم يكن ليقر هذا الخذلان المريع الذي لقيه في الافغان بعد تركية وايران فكان لذلك يدس الدسائس للايقاع بامان الله وجماعته حتى تم له ذلك في سنة ١٩٢٩ بنشوب الثورة في الافغان واضطرار أمان الله على مغادرة البلاد[1] . ومع ان نادر شاه الذي خلف أمان الله على عرش الافغان قد صرح في المجلس الوطني الذي انعقد في ٩ تموز سنة ١٩٣١ انه لم يتول العرش بمعونة الانكليز

(١) Ralp Fox ص ١٩٠٧

الذين حاولوا على العكس من ذلك ان يضعوا العراقيل في سبيله[١] الا ان مجرى الامور يدل على ان للانكليز اصبعاً في هذا الحادث الذي أوقف سير الاصلاح وشجع الرجعية وانتكست على أثره حركة التقدم . ولا تزال الاحوال في الافغان غير مستقرة اذ النزاع قائم بين أنصار أمان الله ورجال العهد الجديد . وقد ذهب نادر شاه ضحية هذا النزاع اذ اغتيل في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٣٤ من قبل شابين يقال انهما من أنصار أمان الله[٢] ؛ وقد خلف نادر شاه ابنه ظاهر شاه فانتقم من القتلة شر انتقام[٣] . ومع ان في هـذا الانتكاس فوز لسياسة الاستعمار فلابد ان يكون هذا الفوز قصير الامد وسيترك في نفوس الشعب أسوأ الاثر .

* * *

بوادر النهضة في الهند : تختلف قضية الهند السياسية عن الحركات الوطنية التي فرغنا الآن من استعراضها من عدة أوجه ؛ فالهند ليست مستعمرة فحسب وانما هي حصن الاستعمار البريطاني في الشرق ومكمن الرأسمالية الانكليزية وقوام حياتها ؛ وهي بلد شاسع الارجاء يقارب في المساحة مساحة القارة الاوربية ويربو عدد سكانه على الثلاثمائة وخمسين مليون ، قد توفر للمستعمر فيه كل ما يحتاج لتعزيز نفوذه وتثبيت قدمه ، ففيه مختلف العناصر

---

(١) Current History, December 1931

(٢) Current History, Fehruary 1934

(٣) Current Hislory, April 1934 فقد اعدم القاتل وجميع أقربائه الذكور (حتى الابعدين منهم) وعدد غير قليل من رفاقه والمتصلين به

وغرائب الاديان والمعتقدات ومئات الطوائف والالسن ، وفيه من الدجالين باسم الدين ومن رجال الاقطاع والراجات والامراء جيش جرار ، وهي كلها أسلحة تستخدمها الرأسمالية لإذلال الشعب وتمزيق وحدته واثارة الشقاق في صفوفه واشغاله عن توحيد جبهة الجهاد ضد الاستعمار والهند ممرض لأفضع مساوئ القرون الغابرة فيها يشهد المرء أفضع الفروق الاقتصادية والاجتماعية ، فهي موطن الفاقة والجهل ومرتع الامراض ومهبط العسف والمظالم من جهة ، وهي مطمر الكنوز وأكبر مخزن الذخائر والمؤن وفيها أعظم أغنياء العالم وأكثرهم بذخاً واسرافاً من جهة اخرى ؛ وهذا مما يزيد في تعقيد قضيتها وفي تمكين الاجنبي المستعمر من السيطرة عليها وتضييق الخناق على الشعب الهندي و يسهل عليه أمر تفريق شملها وتأخير يقضتها[1] . ولهذا فان الهند في الوقت الحاضر مشهد أعظم صراع شهدته البشرية بين الشعب ومستغليه ، وفيها يلاقي الشعب في جهاده ضد الاستعمار والرأسمالية أقوى مقاومة لاقتها الشعوب المجاهدة وأشد أنواع العسف والارهاق والارهاب ؛ ومع ان تلك القوة وهذه الشدة لا ينتظر ان تؤخر الفوز كثيراً عن الهند فانها قد صقلت حركتها ودفعتها في طريق غير الطريق الذي سلكته شعوب الشرق الادنى الوصول الى الحرية .

وقد ظهرت أول بوادر النزاع بين الرأسمالية الانكليزية وطبقات الشعب الهندي بدخول الرأسمالية دورها الثالث دور استثمار موارد البلاد واستغلال الشعب في ميادين العمل[2] . وكان فاتحة هذا النزاع ظهور حركة التمرد في

---

(١) Moon ص ٣٠٨ — ٣١٢ (٢) راجع ص ٣٦ — ٢٧

صفوف الجيش الهندي واندلاع نيران الثورة في مختلف جهات البلاد ؛ فقد تظافرت جميع طبقات الهند ضد المستعمر ، فوقف الراجات ورجال الاقطاع الذين اغتصبت شركة الهند الشرقية أراضيهم بجانب الامراء الذين خسروا امتيازاتهم ومواردهم بسبب قيام الشركة مقامهم في استنزاف الضرائب من الشعب ؛ وكذا الفلاحون الذين أثقلت كاهلهم الضرائب التي كان يفرضها عليهم الاجانب ، وأصحاب الحرف والصنائع الذين سحقتهم منافسة الرأسماليين فاحرموا أسباب العيش ، والعمال في مزارع السكر والنيل الذين كانت قد ألهبت ظهورهم أسواط المستغلين . وقد كان عقاب الرأسمالية للمتمردين عقاباً لم يسجل التاريخ له مثيلاً في القسوة والفضاعة . على ان الاستعماريين ما كانوا ليفوزوا بالنصر لولا نشرهم بذور التفرقة والشقاق في صفوف الهنود فقد أسرعوا حالاً باسترضاء الامراء وملاكي الارض بوعدهم باعادة أملاكهم ومساعدتهم ضد الفلاحين وأظهروا لهم ان العاقبة ستكون وخيمة عليهم اذا انتصر الفلاحون ؛ وقد فرقوا صفوف الفلاحين بوعدهم كبارهم ببعض الامتيازات ، وأخمدوا أنفاس عامة الفلاحين بجيوش من الهنود أنجدهم بها الامراء ثم سنوا القوانين التي أجازت لهم سلب الفلاحين أراضيهم وهكذا أسفرت المعركة عن انقسام الشعب الى شطرين واتحاد الملاكين والامراء والراجات جانب الاستعمار ، فتطهرت حركة الشعب بذلك من رجس كريه .

لقد بعثت الفضائع التي ارتكبها الانكليز في اخماد الحركة الوطنية في الهند رجة عنيفة في جميع أطراف العالم وتركت في نفوس الهنود أثراً لا يمحى وكانت

أول ما أثار المشاعر وأهاج النفوس الحرة وأذكى فيها روح الجهاد[١] .

مرت حركة الهند عقب حوادث التمرد هذه في دور شبيه بالذي مرت به الحركات الوطنية في أوربا وفي بلدان الشرق الادنى ، كانت القيادة فيه للوطنيين الروحيين ، وانتشرت الجمعيات السرية والافكار التي غمرت القارة الاوربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في صفوف الشبان وطلاب المدارس[٢] .

---

(١) Beauchamp ص ٣٢ — ٣٧ ، Moon ص ٢٩٣ — ٢٩٤ ، Hans Kohn, A Hislory of Nationalism in The East ص ٣٥٩ — ٣٦٠

(٢) وقد ترجمت في أثناء هذا الدور كثير من الكتب التي تبحث في حياة رجال الوطنية كفاريبالدى ومازيني ووضعت الروايات الحماسية مثل (The History of India gained in a Dream) وكثير من الاغاني الوطنية وظهرت بعض الصحف الحرة . ومن أشهر رجال هذا الدور « سارندرا ناث بانيرجي » و « كوخيل » . وكان الاول من أعظم خطباء عصره أسس « الجمعية الهندية » سنة ١٨٧٦ وأنشأ جريدة « البنغال » سنة ١٨٧٩ وكان قانعاً أول الامر بالمطالبة بدستور يعين للهند مكانتها في الامبراطورية البريطانية ولكنه انقلب بعد ذلك الى المطالبة بالاستقلال التام ، وكان يعتقد ان استقلال الهند لايتحقق الا بنشر التعليم فيها فاسس جامعة ريبون الاهلية على حسابه الخاص وأوقفها لخدمة الشعب بعد وفاته . اما « كوخيل » فكان استاذاً في جامعة پونا وقد قصر جهوده على بث التعليم وتثقيف الشعب معتقداً ان هذا هو السبيل الوحيد لتحقيق الاستقلال الصحيح ، وأسس سنة ١٩٠٥ « جمعية خدام الهند » ، غايتها تدريب الشبان ودعوتهم الى تكريس حياتهم لخدمة البلاد ؛ ولم يسمح لغير المثقفين ثقافة عالية بالانضمام الى هذه الجمعية ؛ وكانت الجمعية تدعو الى توحيد الصفوف ولا تفرق بين الطوائف ؛ وكان أعضاؤها يمضون خمس سنوات في التدريب قبل ان يسمح لهم في الاشتراك بالجهاد الفعلي . وكان يشترط على كل عضو ان يتفرغ لأعمال الجمعية فلا يشتغل بكسب المال وان يكتفي بما تخصصه له الجمعية منه . ولكن الشبان عرجوا في طريق جديد منذ أواخر القرن التاسع عشر تحت تأثير فلسفة « شوپنهاور » و « نيتشه » و « واگنر » فضمرت نفوسهم موجة من الصوفية والتقشف والنفرة من المادية الاوربية ومدنيتها السطحية فنادوا بالعودة الى حضيرة الحياة الشرقية واعتناق مبادئها الفلسفية وراحوا يمضون في دراسة حياة

ان الاغراض الاقتصادية كانت ظاهرة جلية في حركة الهند منذ أول نشأتها فقد تولى قيادتها عقب حركة التمرد أبناء الطبقة الوسطى الذين تضامنوا مع الاحرار من الانكليز لمقاومة الاقطاع وشركة الهند الشرقية وتمهيد السبيل الى سيطرة الطبقة الصناعية . وكانت زعامة هذه الحركة المؤتمر الوطني الهندي الذي كان أحرار الانكليز أول من فكر في تأسيسه لضمان تعاونهم مع أحرار الهنود[1] . وقد انعقد المؤتمر لأول مرة في بومبي في ٢٨ كانون الاول سنة ١٨٨٥ فصرح بانه لا يستهدف معارضة الانكليز وانما يريد ان يؤلف بين القلوب ويقوي الصلات ببريطانية ويضمن للشبان الهنود نصيبهم من وظائف حكومة الهند .

ولكن الوفاق بين هذا الصنف من الهنود وبين أحرار الانكليز لم يدم

مجاهدي القرن التاسع عشر في ايطالية وايرلندة مثل « بارنيل » و « غاريبالدي » و « كوسوث » ويؤلفون الجمعيات السرية على غرار جمعيات روسية وايطالية وايرلندة ، ولم يعد يقنعهم الكلام والحماس فارادوا العمل الجدي والتضحية الفعلية ، وكانت هذه الروح من أقوى العوامل في ظهور حركة الارهاب في الهند ، وكان طلاب المدارس مدار هذه الحركة التي استحوذت على نفوس الشبان يقودها « بال كنكادارتيلاك » ، فتأسست كثير من الجمعيات السرية في الهند وفي خارج الهند ، وتولت الجمعيات في الخارج أمر تهريب المطبوعات الممنوعة والاسلحة وظهرت عدة روايات كان من أهمها رواية (Ananda Math) و (Bhagavadgita) التي أعطت الشبان انموذجاً للجمعيات السرية ، ودعى شبان الهند لنبذ الملذات والتجرد من الماديات وتكريس حياتهم لخدمة البلاد . (Hans Kohn, A History of Nationalism in The East ص ٢٦٧ـ٢٨٠)

(١) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East ص ٢٦٤ـ ٢٦٦ . فكان أول من فكر بتأسيس المؤتمر الوطني الهندي انكليزي يدعى « الان اوكتافيان هيوم » وكان موظفاً في حكومة الهند وكان غرضه من المؤتمر ان يوطد الروابط بين الهند وبريطانية (Hans Kohn) ص ٣٦٣

طويلاً فان الطبقة الرأسمالية التي نشأت فى الهند توسعت مصالحها فى أوائل القرن العشرين حتى اصطدمت بمصالح الرأسمالية الانكليزية فثـار بينهما النزاع . وكانت الرأسمالية الانكليزية قد حملت الحـكومة البريطانية على اثقال كاهل الصناعة الهندية بالضرائب ومنع الرأسمالية الهندية من استثمار الاموال فى المشاريع الوطنية[1] ، فثار بينهما النزاع فاعلن المؤتمر الهندي فى سنة ١٩٠٥ مقاطعة البضائع الانكليزية وقد استمرت هذه المقاطعة حتى اضطرت الحـكومة سـنة ١٩٠٩ على استرضاء المؤتمر بفسح المجال للهنود للاشتراك بالادارة . ولـكن نطاق معارضة المستعمرين أخذ يتوسع بسرعة وقويت روح العداء لهم فى صفوف الفلاحين الذين اشتد فتك الجوع والفاقة فيهم باشتداد قوة الرأسمالية ، وكان عدد المتعلمين قد زاد عن الحاجة وكثر العاطلون منهم فنما عدد الثوريين والارهابيين حتى اذا كانت سنة ١٩١٢ بدت فى الجو دلائل الثورة بمحاولة اغتيال نائب الملك وتمرد احدى فرق الجيش الهندي فى سنغابور واضطراب الاحوال فى البنجاب وقبض المتطرفون على قيادة الحركة الوطنية . فارهب ذلك الحـكومة الانكليزية وحملها على تهدئة الخواطر فوعدت الهنود بالحكم الذاتي وفرض الرسوم

---

(١) وكانت هذه الطبقة من جملة نتائج الرأسمالية الانكليزية ، فان حاجة الانكليز الى الـكتبة والمستخدمين في الشركات التي أسسوها في الهند ساقتهم الى تأسيس المدارس لاخراج شبان من الهنود يقومون لهم بهذه الخدمات فادى ذلك الى ظهور طبقـة من الحقوقيين والاطباء والمهندسين تجمعت لديها الاموال فاستثمرتها أول الامر في المشاريع الزراعية والتجارة ثم أخذت تستثمرها فى المشاريع الصناعية كمعامل النسيج وغيرها ، وأسست البنوك الوطنية حتى بلغ عددها الستة عشر فى سنة ١٩١٠

الـكمركية على المنسوجات القطنية (لاسترضاء الرأسماليين الهنود) على شرط ان تساعد الهند بريطانية فى الحرب . واضطرت الحـكومة البريطانية فى خلال الحرب العامة — لانصراف مصانع الرأسمالية فيها الى اخراج ما تستلزمه الحرب من عتاد ولوازم — ان تترك سياسة المقاومة التي سلكتها تجاه المصانع الهندية فتحقق الرأسماليين الهنود ما كانوا يصبون اليه فأوقفوا الجهاد وقادوا الشعب المسكين الى ساحات القتال للدفاع عن مصالح أعدائه الالداء وأعانوا المستعمرين فى القضاء على المتطرفين من الوطنيين[1] .

فلما انتهت الحرب العامة كانت الرأسمالية الهندية قد بلغت من القوة درجة اضطرت الحـكومة البريطانية معها الى الالتزام — ولو بصورة ظاهرية — بالوعود التي ضربتها للوطنيين الهنود فى سنة ١٩١١ وعادت فاكدتها في سنة ١٩١٤ ، فاجرت في سنة ١٩١٩ بعض الاصلاحات الشكلية التي نالت الرأسمالية الهندية بها بعض ما كانت تسعى للحصول عليه من الامتيازات كتوسيع نطاق التصويت وزيادة عدد أعضاء مجلس نائب الملك والمجالس التشريعية وعدد الموظفين الهنود واحالة أعمال البلديات الى الوطنيين وأدخلت نظاماً جديداً لادارة البلاد فقسمت أعمال الحـكومة الى صنفين : « الاعمال المحفوظة » وهي التي احتفظت بها بريطانية كالمالية وواردات الاراضي والادارة والرى والقضاء والشرطة والسجون ورقابة المطبوعات والمعامل والنظر في مشاكل العمال والضمانات الصناعية ، و « الاعمال المحولة »

---

(١) Beauchamp ص ١٦٧ — ١٦٨

التي عهدت بها الى الادارة المحلية كشؤون الصحة العامة والتعليم[١] . ولكن هذه الاصلاحات لم ترض رجال المؤتمر الوطني فاستأنفوا الجهاد ووجهوا جهودهم للأخذ بقياد السواد الاعظم لاستخدامه في سبيل تحقيق مصالح الطبقة الرأسمالية من جهة ولابعاده عن الميول الثورية التي أخذت تستحوذ عليه ، وتوجيه أنظاره الى ما يناله على يد الاجنبي المستعمر من ارهاق لينصرف عن محاسبتهم وعما يناله من الاضرار من جراء استغلالهم اياه[٢] .

---

(١) Montagu-Chelmsford Reforms

(٢) لم يكن ما ينال الشعب من استغلال الرأسمالية الهندية واستعباد الملاكين الهنود باقل مما يصيبه على يد المستعمرين ، فان أحوال العمال والفلاحين في المشاريع التي امتلكها الرأسماليون الوطنيون كانت أشد سوءاً مما هي عليه في المشاريع الاجنبية ، وأحوال الامارات التي يحكمها الامراء الهنود أشد فساداً من التي يحكمها الانكليز فالراجات يرتكبون أفضع الجرائم ضد الشعب ويحتمون بالمستعمر الذي تحالف معهم لسحق السواد الاعظم . ويرى القارئ في مصروفات بعض الامراء صورة صادقة لحالة الشعب ففي ميزانية امارة (بيكانير) وعدد سكانها (٦٦٠٫٠٠٠) نسمة تبلغ كافة اعتمادات الاعمال العامة وفي ضمنها التعليم والصحة ٣٫٦ في المائة من مجموع الميزانية بينما تبلغ مخصصات الامير ٢٢٫٦ في المائة ، ويصرف هذه الامير على شخصه مبلغ (١٧٠٫٠٠٠) ليرة انكليزية في الوقت الذي لا تزيد مخصصات التعليم على (١٥٫٠٠٠) ليرة انكليزية . ولكن مخصصات هذا الامير تبدو زهيدة أمام مخصصات مهراجا « جناكار » الذي صرف على شخصه في سنة ١٩٢٦ (٥٠) في المائة من مجموع واردات امارته (Beauhamp ص ١٦٣ — ١٦٦ و Ralf Fox ص ٦١ — ٦٢) . ومهراجا الوار الذي ينفق ٦٦٫٠٠٠ ليرة انكليزية في السنة على سياراته بينما لا تزيد نفقات تعليم مجموع الشعب الذي ينوف عدده على ٧٠٠٫٠٠٠ نسمة على ٧٥٫٠٠٠ ليرة انكليزية (Beauchamp من ١٢٧ و Litrary Digest, December 3rd. 1927) . وفيما يلي مفردات ميزانية امارة بيكانير بالروبيات لاحدى السنين : ماهية الامير (١٫٢٥٥٫٠٠٠) مصاريف زواج الامير (٨٢٥٫٠٠٠) الابنية والشوارع (لمنفعة الامير وحاشيته عادة) (٦١٨٫٣٨٤) توسيع قصر الامير (٤٢٦٫٦١٤) نفقات عائلة الامير (٢٢٤٫٨٦٥)

وكان المهاتما غاندي[1] قد نزل الى ميدان الجهاد في الهند فتولى قيادة الحركة الهندية وأصبح — من حيث لا يعلم — أكبر اداة استغلتها الرأسمالية الهندية واستفاد منها المؤتمر الوطني لسيطرة على الحركة الوطنية في البلاد واستخدام الجمهور — الذي انقاد لغاندي — لتحقيق أغراض الطبقة

مخصصات المعارف (٢٢٢٬٩٧٩) مخصصات الصحة العامة (١٨٨٬١٣٨) مخصصات الاعمال العامة (٣٠٬٧٦١) مخصصات مؤسسات حفظ الصحة (٥٬٧٢٩) [Ralph Fox ص ٤٢] وقد وجد الامراء من السلطات المستعمرة أكبر معين لهم في ارهاق الشعب وابقائه فريسة للجهل والفاقة ولم يجد الشعب سبيلا للخلاص من الامراء حلفاء الاستعمار بعد ان حماهم المستعمرون ، فأمير اندرو المخلوع مثلا يستوفي (٥٠٬٠٠٠) ليرة انكليزية في السنة من خزينة الامارة بينما جمهور الشعب يتضور من الجوع (Beachamp ص ١٢٨)

(١) ولد غاندي في ٢ تشرين الاول سنة ١٨٦٩ في احدى الولايات الهندية القريبة من بومبي من أبوين من الطائفة البراهمية ؛ وكان أسلافه يشغلون مناصب الوزارة في هذه الولاية . وبعد ان أتم دراسته الثانوية في الهند سافر الى انكلترة فدرس المحاماة ونال جواز ممارستها ، واستخدم عند عودته الى وطنه في احدى الشركات الهندية فأوفدته الى جنوب أفريقية للدفاع عنها أمام المحاكم . وكان في جنوب أفريقية — ولاسيما في الناتال — عدد كبير من المهاجرين الهنود جاء بهم الرأسماليون الانكليز لاستخدامهم في المعامل والمناجم لزهادة اجورهم وكانوا يعانون في مهجرهم هذا أشد أنواع البؤس والارهاق وقد حرمهم البيض من الحقوق وجعلوهم من صنف العبيد . فأثار ذلك مشاعر غاندي الشاب فقرر المكوث في جنوب أفريقية للدفاع عن قضيتهم ورفع الحيف عنهم . وقد بقي يجاهد في سبيلهم زهاء عشرين عاماً . وكان قد تأثر بالروح الدينية الهندوكية وبتعاليم المسيح وتولستوي ورسكن وثوراو فاسس بالقرب من دربان مزرعة شبه اشتراكية ومحفلا على نحو مايفعل المتصوفة الهندوكيون ؛ وساعد الانكليز في حرب البوير وقتال قبائل الزولو واتخذ طريقة العصيان المدني في المطالبة بحقوق الهنود . وانصرف عند عودته الى الهند عام ١٩١٤ الى دراسة أحوالها ، وخرج من عهد دراسته هذا يدعو الى نبذ المنسوجات الاوربية وتشجيع الصناعة الوطنية واتخذ المغزل شعاراً له . وقد رأى أصحاب مصانع النسيج الهنود في غاندي أكبر اداة يستطيعون الانتفاع بها ضد الرأسمالية الانكليزية فساعدوه وأمدوه بالاموال الطائلة . (Hans Kohn A History of Nationalism in The East ص ٢٩٨–٤٠٦)

الوسطى . فقد اعتمد غاندي على الاحساسات الروحية التي استحوذت على الشعب للأخذ بقياده وتسييره في الطريق السلمي ، وهو ما كان ينشده الرأسماليون الهنود . واتبع في جهاده ثلاث قواعـــد : « اللاعنف » و « اللاتعاون » ، ومقاطعة البضائع الانكليزية والعصيان المدني الذي اشتمل فيما بعد على الامتناع عن دفع بدلات الايجار ومكوس الملح .

واشتدت الحركة الوطنية بين سنتي ١٩١٩ و ١٩٢١ فاشترك للملايين من الهنود بالمظاهرات والاضرابات ومختلف صنوف المقاومة . واتخذت الحكومة تجاههم أشد الاجراءات وقابلتهم بالارهاب ففاجأت الجماهير من الرجال والنساء والاطفال بنيران الرشاشات فتتكت بالالوف وعم الارهاب جميع أطراف الهند[1] . ولكن الفضائع التي ارتكبتها السلطة لم تزد النار الا لهيباً . فقد اشتد ساعد المؤتمر فاجتمع في صندوقه ما ينوف عن مليون ليرة انكليزية وبلغ عدد أعضائه العشرة ملايين . غير ان ارهاق المستعمرين شجع روح التطرف فخشي الرأسماليون الهنود العاقبة واضطروا الى التساهل مع الانكليز لحماية مصالحهم فحملوا المهاتما غاندي على مفاوضة الانكليز فكان هذا التخاذل

---

(١) وكانت قاطرات السكك الحديدية تمر بالقرى فتفتح على الاهلين فيها نيران الرشاشات من غير انذار لمجرد الارهاب فتفتك بالمئات من الابرياء ، وأطلقت الطيارات قنابلها من دون تعيين فالقت احدى الطيارات القنابل على مدرسة خالصا العالية ، وقتلت الرشاشات في حديقة جلالينوالا في مدينة امرتسار خمسة آلاف شخص في عشر دقائق ، وأصدر الجنرال داير حاكم هذه الولاية أمراً الى الهنود ان يمشوا على الاربع في بعض الطرق اسوة بالدواب . (Beauchamp ص ١٧٢ — ١٧٥) وفتكت السلطات بالمساجين فذبحت أربعة آلاف سجين وقتلت جمعاً كبيراً منهم في القطار خنقاً وهم مسوقون الى أحد السجون (Ralph Fox ص ٧٣)

سبباً في تشديد السلطات الخناق على الشعب فشددت الاجراءات وقبضت على زعماء المؤتمر ؛ الا غاندي الذي خشيت ان يثير توقيفه ما لا قبل لها به . وقابل المؤتمر هذا التعنت بمثله فقرر اعلان العصيان المدني الشديد ومنح غاندي سلطة مطلقة لادارة سير المقاومة . وتجاوز الفلاحون وعامة الشعب النطاق الذي ضربه المؤتمر للحركة فامتنعوا عن دفع الضرائب ونشبت المعارك الدموية بينهم وبين السلطة ، فخشي رجال المؤتمر ان يخرج الشعب من قبضتهم و ينقاد المتطرفين فحملوا غاندي مرة اخرى على توقيف حركة العصيان فخذلت الحركة خذلاناً عظيماً وتبلبلت الافكار واغتنمت السلطة هذه الفرصة مرة اخرى فالقت بـ ٢٥٠٠٠٠ من الوطنيين في غياهب السجن وحكمت على غاندي بالسجن لست سنوات (صيف سنة ١٩٢٢) . وانقسمت جبهة الوطنيين على أثر ذلك الى معتدلين وهم الذين اكتفوا بالمطالبة بنظام للمتلكات البريطانية ، ومتطرفين وهم الذين قرروا العمل على تحقيق الاستقلال التام ؛ وقويت الميول الشيوعية والمتطرفة بين جماهير العمال والفلاحين فتألف حزب العمال والفلاحين في البنغال وفي بومبي والبنجاب ؛ وتغلب المتطرفون على المعتدلين في المؤتمر فحملوهم على تقرير المطالبة بالاستقلال التام والتعاون مع عصبة مقاومة الاستعمار وتأييد كفاح الصين ضد المستعمرين[1] .

على ان الشقة بين المعتدلين والمتطرفين أخذت تتوسع شيئاً فشيئاً . فلما أوفدت وزارة المحافظين بعثتها لدرس حالة الهند وتقديم تقرير عنها ، برئاسة السر جون سيمون ، وكان الرأي العام يميل لمقاطعتها ؛ تردد أعضاء المؤتمر بادي

---

(١) Beauchamp ص ١٧١ — ١٨٤

الامر ثم عادوا فخذلوا الشعب مرة اخرى بتقرير سياسة التعاون ؛ وخالفهم المتطرفون — لاسيما أعضاء حزب العمال والفلاحين — فحملوا الشعب وقادوه في مقاطعتها ونظموا المظاهرات وقابلوا البعثة باشد مظاهر الاستياء وأعلنوا الاضراب في بومبي وكلكتة ومدراس وكثير من مدن الهند . ولما اجتمع المؤتمر ورفع الى الحكومة بيانه في المقترحات التي وضعها رداً على مقترحات بعثة سيمون على أساس نظام الممتلكات[1] لم يرتح الرأي العام له وأسس المتطرفون عصبة استقلال الهند في البنغال لتحقيق الاستقلال والقضاء على الفروق الاقتصادية واقامة دولة اشتراكية ، وكان جواهرلال نهرو و بعض رفاقه يميلون الى مساندة هذه العصبة . ولكن غاندي الذي عاد الى السياسة بعدسنة ١٩٢٨ راح يسعى لتسوية الخلاف بين المتطرفين والمعتدلين حتى حمل المؤتمر على قبول مبدأ الاستقلال التام اذا لم تمنح الحكومة نظام الممتلكات في ظرف اثنى عشر شهراً . غير ان حزب العمال والفلاحين عقد في الوقت عينه مؤتمراً في كلكتة وقرر الاصرار على المطالبة بالاستقلال التام والغاء جميع الامارات ومصادرة جميع الاراضي وكافة وسائل الانتاج والتوزيع . وأخذ نفوذ المؤتمر الوطني منذ ذلك الحين يتضاءل شيئاً فشيئاً ويحل محله نفوذ حزب الفلاحين والعمال وجمعيات الشبان الاشتراكيين[2].

واضطر الانكليز وللمؤتمر ان يعودوا مرة اخرى الى المفاوضات للتعاون

---

(١) نشر هذا البيان (الذي دعي ببيان نهرو) في آب سنة ١٩٢٩ وكان موقعاً من البانديت موتيلال نهرو رئيس حزب المؤتمر والسر تاج باهادور سابرو زعيم الاحرار وجواهر لال نهرو الذي خلف أبوه بعد ذلك في رئاسة المؤتمر وخمسة من الزعماء المعروفين

(٢) Beachamp ص ١٨٣ — ١٨٩ ، Ralph Fox ص ٦٣ — ٦٨

على ايقاف تيار التطرف[١] فاقترحت حكومة العمال[٢] سنة ١٩٢٩ عقد مؤتمر الطاولة المستديرة واجتمع زعماء المؤتمر في دلهي فاصدروا بياناً بموافقتهم على عقد مثل هذا المؤتمر على أساس منح الهند نظام الممتلكات (الدمنيون) واطلاق سراح المسجونين السياسيين . ولكن ضغط الرأي العام على زعماء المؤتمر اضطرهم الى مقاطعة مؤتمر الطاولة المستديرة الاول فاجتمع بدونهم . وعلى أثر انتهاء اجتماعه شرعت حكومة العمال بمفاوضة غاندي في سجنه فتم الاتفاق بين الطرفين على ايقاف حركة العصيان المدني التي بدأها غاندي قبل عام بعد ان أبدت الحكومة الانكليزية تسامحاً ظاهراً تجاه المسجونين السياسيين وتساهلت بعض التساهل فيما يتعلق بضريبة الملح . فزاد ذلك في نفرة المتطرفين من غاندي الذي استمر يبدي التسامح مع الانكليز غير ملتفت الى ما كان يصيب المجاهدين من السواد الاعظم في غياهب السجون وما نزل بفقراء الفلاحين من الحيف بمصادرة السلطات أراضيهم . واشتدت

---

(١) وكان المؤتمر قد قرر سنة ١٩٢٨ ان يعلن العصيان المدني ويطالب بالاستقلال التام اذا لم تمنح الهند نظام الممتلكات في خلال سنة واضطر تحت ضغط الرأي العام ان ينفذ هذا القرار في اجتماعه الذي عقد بلاهور في كانون الاول سنة ١٩٢٨ وأعلن غاندي الحرب ضد ضريبة الملح والبضائع الانكليزية فهب السواد الاعظم لنصرته في جميع أطراف الهند وامتدت الحركة الى حدود الهند الشمالية فاحتلت القبائل مدينة پشاور وشولابور وتمردت بعض فرق الجيش الهندي فخشي غاندي ان تخرج الحركة من يده فتراجع وخذل الشعب من جديد . وقبضت السلطة عليه فاخذ يفاوض الحكومة الانكليزية وهو في السجن حتى تم الاتفاق على عقد مؤتمر الطاولة المستديرة

(٢) ومع ان حكومة العمال تدعي الاشتراكية فقد سارت على عين الخطة الارهابية التي اتبعها المحافظون ولم يكن في موقفها تجاه الهند أي انحراف عن سياسة بريطانية الاستعمارية

حركة العنف على الاثر فاضطرت الحكومة ان تعود الى سياسة الارهاب والارهاق فاعادت غاندي الى السجن وعادت تدبر معه خدعة جديدة للتخفيف من غليان حركة العصيان والعنف التي عمت البلاد فتم الاتفاق بينهما على عقد مؤتمر الطاولة المستديرة الثاني الذي التأم بلندن بين تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ وكانون الثاني سنة ١٩٣١ وحضره غاندي — وكان أطلق سراحه على الاثر — ولم يتوصل هذا المؤتمر الى شيء يستحق الذكر فقد كان الاستعمار البريطاني — يؤيده الامراء والرجعيون من الهنود علناً ويسنده الوطنيون باستحياء — مصراً على ان يبقى محتفظاً بسلطته المطلقة لاستغلال الشعب الهندي[1].

ولما عاد غاندي الى الهند في كانون الاول سنة ١٩٣١ وجد الشعب من فلاحين وعمال قد أداروا عنه وجوههم شطر اليسار وكانت أحوالهم في خلال الازمة الاقتصادية قد بلغت أحط الدركات وسحقتهم الديون والضرائب وزاد في ويلاتهم تدهور العملة وانخفاض اسعار المحاصيل الزراعية انخفاضاً لم يسبق له مثيل ؛ وانتشرت بينهم روح التمرد فرفعوا علم الثورة في كثير من جهات الهند فاحرقوا المزارع وفتكوا بالملاكين ودمروا من الاموال ما ينوف عن ٤٠٠٠٠٠ ليرة انكليزية في ولاية بيرار وحدها ، وأمسكوا عن دفع بدلات الايجار وضريبة الارض في كثير من الولايات . وتفلغلت الروح الثورية في نفوس العمال فهبوا معلنين الاضراب منادين بسقوط غاندي — « غاندي الخائن » . واضطر غاندي ورجال المؤتمر الى الاستسلام لهذا التيار الجارف

(١) Ralph Fox ص ٦٤ — ٧٠

فاعلنوا العصيان المدني وفتحت لهم أبواب السجون فآووا اليها يستترون بها هزيمتهم المريعة . واقتصر غاندي عمله بعد هذا الخذلان على الدفاع عن المنبوذين وبذلك أحسن التخلص من هذه الورطة وأمل نجمه في ميدان الجهاد السياسي . وانصرفت السلطة الى اخماد نيران هذا البركان المندلع الى وسائل الارهاب والى الافراط في بث بذور التفرقة والشقاق وألفت بمئات الالوف في ظلمات السجون وهب الرأسماليون الهنود الى معونتها لدفع هذا الويل الوبيل الذي أخذ يتهدد مصالحهم[1].

وكانت الحركة الثورية قد انبعثت في الهند عقب الانقلاب الروسي الذي شمل بلاد تركستان المجاورة للأفغان فالهند ، وكانت ضيقة النطاق أول الامر غير ان الارهاب والعسف اللذين استعملها المستعمرون في اخماد الحركة الوطنية والضعف والتبلبل الذي أبداه زعماء هذه الحركة وتدهور أحوال السواد الاعظم الذي أخذ يشعر يوماً بعد يوم ان الحركة الوطنية تسعى الى غير ما ينشده من الرفاه المادي ، ساعد على انتشارها واستحواذها على الجماهير ، سيما العمال الذين نما عددهم بتوسع الصناعة المحلية وانتشار السكك الحديدية وتكاثر المعامل والمناجم ؛ وكانوا أول من أحس ان لا فرق بين الرأسماليين الوطنيين واخوانهم الاجانب في ارهاق العامل واستغلاله فتضموا صفوفهم وأسسوا النقابات وقاوموا الرأسماليين الوطنيين والاجانب على حد سواء . واستحوذت هذه الروح على الفلاحين الذين كانوا يقاسون من الامراء والملاكين والزراع أفضع أنواع الجور لما شاهدوا الوطنيين من رجال هذه

(١) Beauchamp ص ٢٠٨ — ٢٢٢

الاصناف يتعاونون مع الاجنبي المستعمر على ارهاقهم ، فانضموا الى اخوانهم العمال وألفوا معهم جبهة تزعمتها أحزاب العمال والفلاحين وجمعياتهم لمحاربة المستعمرين والامراء والراجات والرأسماليين من غير تفريق والعمل على تحطيم أغلال العبودية وازالة معالم الاستغلال الذي أوصلهم الى حافة الهلاك . وبذلك تقدمت حركة الهند الحركات الوطنية في الشرق الاوسط والادنى وأمست تهدد الاستعمار البريطاني في الصميم . ومما يزيد في خطرها على الاستعمار العطف الذي تجده من العمال البريطانيين واحتمال تعاون الطرفين ضد الرأسمالية عدوهما المشترك .

* * *

الحركة الوطنية في مصر : تهيأت أسباب اليقظة لمصر قبل سواها من بلدان الشرق ، فقد حمل نابليون اليها رسالة الثورة الفرنسية ، وأقامت جيوشه فيها زهاء خمسة أعوام زرعت في خلالها بذور الاصلاح ، واهتم العلماء الذين جاء بهم اليها باكتشاف معالم مدنيتها وبدأوا بالتنقيب الذي أدى الى اكتشاف آثار الفراعنة التي أدهشت الاوربيين ورفعت من شأن مصر وبعثت في نفوس المصريين روح الاعتزاز بماضيهم وحملتهم على العمل لتبوء المكان اللائق بهم بين الامم (١) .

وكان لما قام به محمدعلي الكبير من تحسين أحوال الزراعة والعناية بشؤون الفلاح ونشر التعليم وايفاد البعثات الى أوربا وتأسيس المدارس

---

(١) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East ص ١٧٤ — ١٧٦

العالية وسوق الجيوش المصرية لحرب الوهابيين واحتلال السودان وسورية والفوز الذي أحرزه على الجيوش العثمانية تأثير عظيم في تعزيز الشعور الوطني في مصر وتنبيه الاذهان في الشرق الادنى .

ولكن الرأسمالية الاوربية التي اتخذت من تبذير الخديو اسماعيل باشا ذريعة للتدخل في شؤون مصر ، واكتشفت في وادي النيل أرضاً صالحة لزراعة القطن ، ووجدت في قناة السويس مدخلاً جديداً الى الشرق ؛ أفسدت على مصر نهضتها وسدت في وجهها سبل التقدم .

وكان من أعظم ما ساعد الرأسمالية الاوربية في فوزها هذا وفي تبسط الاستعمار في مصر سوء أحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية ؛ فقد نشأت فيها بعد شيوع زراعة القطن طبقة ارستوقراطية من عناصر أجنبية تمكنت من الاستحواذ على موارد الثروة والقبض على مناصب الدولة فاستعبدت الفلاح وحالت دون تحسن أحوال الشعب . ومع ان زراعة القطن تعود على مصر بمبالغ طائلة كل سنة الا انها كانت وبالاً على الشعب في النظام الحاضر ، لأن القسم الاعظم مما تعود به يتسرب الى جيوب الملاكين من الارستوقراطيين ولا يحصل الفلاح منه على غير ما يسد الرمق وبذلك أصبحت الثروة التي تكسبها مصر من القطن سلاحاً بيد أعداء الشعب وسند الاستعمار . وقد احتكرت زراعة القطن كذلك أراضي وادي النيل وجعلت من سواد الشعب المصري الذي ينوف عدده على الـ ١٤ مليون نسمة كتلة واحدة من الفلاحين الذين سحقتهم الفاقة وأطبق عليهم الجهل وتوقفت

حياتهم على سوق لنكشير[١] ، وحرمت مصر من الحياة الصناعية التي كانت أكبر سائق للشعوب الى النهوض والتقدم (لم ينشأ في مصر سوى صناعات قليلة تحت سيطرة الجاليات الاجنبية في القاهرة والاسكندرية) فالحركة الصناعية تستلزم انتشار العلم وهي تدفع الفرد للتطور بخلاف الحياة الزراعية التي يمكن ان تدوم على الجهل وتساعد على تمكن الرجعية في النفوس .

ان هذا النظام الاقتصادي الفاسد كان ولا يزال أكبر عامل في افساد المجتمع المصري اذ انه أوجد طبقة ارستوقراطية طائلة الثروة مفرطة في البذخ والاسراف تستغل الشعب وتحتقره وتعتمد على الاجنبي وتساند الاستعمار وتدس في المجتمع السموم ؛ وشعباً أكلته الفاقة واستحوذ عليه الجهل واكتنفته الرجعية وأرهقه الرأسماليون وعبثت بشؤونه مكايد الاستعمار وأحابيل المضللين . وانه لمن المؤلم حقاً ان تعجز مصر — التي جعلت شعوب الشرق الادنى منها قدوة وأتخذتها اماماً — عن التخلص من هذا الوضع الذي سد بوجهها أبواب النهضة والتقدم .

ولكن مصر بالرغم من هذا الركود الذي تغلغل في جميع مناحي الحياة العامة فيها مقبلة — على ما يظهر — على عهد جديد بعد ان قاربت الوطنية التقليدية فيها ان تزول . وقد كانت هذه الوطنية التقليدية من جملة ما عرقل على مصر سير نهضتها لاشغالها الشعب بما لا طائل تحته عن شؤونه الحيوية وما يؤدي به الى الرفاه والاطمئنان والتقدم ؛ ولأنها كانت في مختلف أدوارها اداة بيد الطبقة الوسطى التي قام النزاع بينها وبين الطبقة الارستوقراطية

---

(١) Ralph Fox ص ٨٤ — ٨٥

على الحكم وأسباب الاستثمار . وقد تزعمها في دورها الاول ، عرابي باشا والضباط المصريون الذين ساءهم احتكار الشركس والاتراك المناصب في الجيش والادارة ؛ وكان الفلاح قد ضاق ذرعاً باوائك الموظفين الطغاة من الاجانب فأيد عرابي باشا ورفاقه في معارضته لهم[١] .

ودخلت الحركة الوطنية دورها الثاني في أواخر القرن التاسع عشر اذ تزعمها مصطفى كامل ورفاقه الشبان الذين درسوا في أوربا وتغلغلت في

---

(١) كان عرابي باشا أول مصري رقي الى رتبة « أمير ألاي » في الجيش المصري اذ كانت الرتب العالية محتكرة لضباط الشركس والاتراك . وكان عرابي باشا — بخلاف زملائه الضباط المصريين — خطيباً درس في الازهر بضع سنوات فاتقن اللغة العربية ، وكان فضلا عن ذلك أول من تغلغلت فيه الروح الوطنية فافتخر بمصريته وجمع حوله زملاءه المصريين ورفع راية العصيان احتجاجاً على ما أصابهم من حيف . واتصل بالاوساط التي تشبعت بروح جمال الدين الافغاني وتزعم الفلاحين الذين تقموا على الموظفين الاجانب فاصبح زعيم أول حركة وطنية ظهرت في مصر . وكان ازدياد تدخل المستعمرين من انكليز وفرنسيين قد أثار استياء رجال الطبقة العليا الذين خشوا عواقب هذا التدخل على مصالحهم فانضموا الى الجبهة الوطنية فاضطر الخديو توفيق باشا أمام هذه الجبهة المتراصة ان يوافق على تأليف وزارة من الوطنيين اسند منصب وزارة الحربية فيها الى عرابي باشا . ولكن انكلترة وفرنسة تدخلتا في الامر وأرغمتا هذه الوزارة على تقديم استقالتها وطلبتا ابعاد عرابي باشا عن مصر ، فثار المصريون واضطر الخديو ان يلتجيء الى الانكليز . وأخذ الاهلون يحصنون الاسكندرية بالرغم من انذار قائد الاسطول البريطاني فاطلقت الدارعات الانكليزية النار عليهم فاشتد حماسهم وأصدر رئيس الازهر فتوة بخلع الخديو وتألفت لجنة للدفاع عينت عرابي باشا قائداً عاماً . ولكن الانكليز فازوا بتفريق هذه الجبهة اذ استرضوا الكثيرين من رجال الطبقة العليا بالرشوة والوعود ونجحوا بحمل السلطان على اعتبار عرابي باشا خارجاً على الدولة العثمانية ؛ وكانت لها سيادة اسمية في مصر) فاضطربت صفوف الوطنيين وتبلبلت آراؤهم فسهل على الانكليز الانتصار على عرابي باشا في واقعة تل الكبير في ١٣ ايلول سنة ١٨٨٢ ؛ ونفي الى سيلان وعاد في اخريات أيامه الى مصر فتوفي فيها عام ١٩١١

نفوسهم روح الوطنية الاوربية الحديثة . وكانت الحركة في هذا الدور تمثل يقظة الطبقة الوسطى في المدن بخلاف حركة عرابي باشا التي استمدت قوتها من الفلاحين وسكان الارياف . وكان مصطفى كامل — الذي أنعم عليه السلطان عبدالحميد بلقب الباشوية سنة ١٩٠٤ تقديراً لخدماته للوحـــدة الاسلامية — ينتظر المعونة من فرنسة التي كانت تظهر العطف على المصريين لتشجعهم على مقاومة الاستعمار البريطاني ، فلما تم تسوية الخلاف بين انكلترة وفرنسة في سنة ١٩٠٤ لم يبق له أمل بهذه المعونة . وكان قوام هذه الحركة الخطب الحماسية واذكاء الروح الوطنية ؛ وقد ألقى مصطفى كامل باشا أول خطاباته على ألفين من السامعين في القاهرة في تموز سنة ١٨٩٧ فكانت فاتحة جهاده . وأصدر سنة ١٩٠٠ جريدة « اللواء » ودعى الى نشر التعليم وعمل على تأسيس المدارس والقاء المحاضرات وفتح الصفوف المسائية وجمع التبرعات لمساعدة فقراء الطلاب ؛ وألف الحزب الوطني الذي اندمج بحزب الامة برئاسته في سنة ١٩٠٧ وقد توفي في شباط سنة ١٩٠٨ . وبقيت هذه الحركة الوطنية تقاوم الاستعمار البريطاني الذي استحوذ على مصر بعـد سنة ١٩٠٤ وحرم أبناء الطبقة الوسطى الوظائف والمناصب التي اســتولى عليها الانكليز . وكان اللورد كرومر في هذه الاثناء يحكم مصر مطلق اليد ؛ وخلفه السر ايلدن غورست واللورد كشنر من بعده فحذوا حذوه في تعزيز سلطان الاستعمار .

ان الحرب العامة أدخلت الحركة الوطنية في دورها الاخير فقد كشفت بريطانية في مستهلها عن حقيقة صلتها بمصر بجعلها تحت الحماية البريطانية والحكم المباشر

و باعلان الاحكام العرفية فيها وتعطيل الجمعية التشريعية واتخاذ قناة السويس مقراً لجيوشها ؛ وشهد الشعب المصري أهوال الاستعمار المكشوف في خلال تلك الزوبعة العالمية فيما قاساه على يد الجيوش الاسترالية والهندية وما فرض عليه من العمل الاجباري والضرائب والاعانات وغير ذلك مما يجري عادة في ظل الحكم العسكري ، فقويت في نفسه النقمة على الاستعمار وتمهد بذلك السبيل لاندفاع مختلف الطبقات الى معمعة الجهاد الوطني عقب انتهاء الحرب العامة ؛ فاشترك الفلاح مع رجال الطبقة الوسطى في المدن وفي الارياف في مكافحة الاستعمار والمطالبة بالاستقلال بزعامة سعد باشا زغلول رئيس الوفد[1] .

كان سعد كمرابي من أبناء مصر الذين تدرجوا من طبقة الفلاحين الى صفوف الطبقة الوسطى ، وكان من أعضاء حزب الامة قبل ان يندمج بالحزب الوطني ، وقد اشترك بوزارة محمد سعيد باشا وبقي يشغل كرسي وزارة العدلية فيها حتى سنة ١٩١٢ . فلما كانت سنة ١٩١٣ — التي عدل فيها القانون الاساسي فالغيت الجمعية التشريعية بمقتضى هذا التعديل وجرت الانتخابات في سعة من الحرية — انتخب سعد رئيساً للجمعية وبقي كذلك الى اعلان الحرب العامة . فلما انتهت الحرب ظهر على رأس الحركة الوطنية وترأس الوفد الذي خوله الشعب المصري في أواخر سنة ١٩١٨ حق مفاوضة بريطانية والمطالبة باستقلال مصر . ولكن المعتمد السامي البريطاني رفض السماح

---

(١) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East ص ٢٠١ — ٢٠٢

الوفد بالسفر الى لندن فادى الخلاف بين الطرفين الى نفي سعد وثلاثة من زملائه (حمد باشا الباسل ومحمد محمود باشا واسماعيل صدقي باشا) الى مالطة ، فقامت على أثر ذلك المظاهرات في المدن وأضرب الطلاب والمحامون ودمر الفلاحون السكك الحديدية وأعمدة البرق وانقطعت القاهرة عن بقية أنحاء القطر .

وكانت انكلترة مصممة على ابقاء الحكم المباشر فقمعت الحركة بعنف ووصل اللورد اللنبي في ٢٥ آذار . وكان الموظفون البريطانيون في مصر وزعماء الاستعمار مثل اللورد كرزن في لندن والصحف البريطانية الاستعمارية يظهرون الحركة الوطنية المصرية الى الشعب الانكليزي على غير حقيقتها ليبقى الاستعمار يعبث بمقدرات الشعوب مطلق اليـــد . فلما ضاقت على المصريين سبل العمل الايجابي ركنوا الى العصيان المدني فاضرب الموظفون اسوة بالطلبة والمحامين ووقف الاقباط الى جانب المسلمين (وذلك من أهم مميزات هذا الدور) واشتركت النساء في المظاهرات حتى اذا اشتدت المقاومة تظاهر الانكليز بشيء من اللين فاطلقوا سراح سعد فسافر مع رفاقه الى باريس ، وألفوا وزارة من الوطنيين المعتدلين برئاسة رشدي باشا .

ولم تر حكومة لندن مفراً من الاعتراف بالواقع فاوفدت بعثة اللورد مانر لاستطلاع الحالة وتقديم تقرير عنها — وذلك اسلوب اعتاد البريطانيون ممارسته في أوقات الشدائد لاشغال الناس وتمضية الوقت ريثما يتمكنون من قمع الحركات و بذر الشقاق وتفريق الصفوف . ولكن الشعب قاطع هذه البعثة التي مثلت الطرف الانكليزي وحده . وكانت الحكومة البريطانية قـــد

كشفت في هذه الاثناء عن عزمها على اقامة مشاريع الري وزراعة القطن في السودان فبعثت الرعب في قلوب الملاكين وأصحاب المزارع من المصريين الذين خشوا ان تستنفذ هذه المشاريع حياة النيل وتنافس القطن المصري فاشتد حنقهم على الاستعمار .

وفي شباط سنة ١٩٢١ أتمت اللجنة تقريرها وقد اقترحت فيه ان تقوم الصلات الانكليزية المصرية على أساس عقد معاهدة تضمن مصالح الطرفين . وعاد زغلول باشا الى مصر في شهر نيسان فاستقبله الشعب استقبالاً فخماً . ولكن الانكليز كانوا قد أتموا تدابيرهم في هـذه الاثناء فاوجدوا ثغرة في الجبهة الوطنية ينفذون منها لتحقيق مآربهم فخلقوا لهم من الارستوقراطيين الذين خافوا توسع نفوذ الوفد ، أعواناً ولوهم الحكم ؛ واستمروا يضيقون الخناق على الحركة الوطنية — وكانت حكومة لندن يومئذ بقبضة الاستعماريين مثل تشرشل وكرزن — فنفوا سعداً وثلاثة من رفاقه الى سيشل فجددوا بذلك عهد الاضطرابات الذي مر على مصر بعد سنة ١٩١٨ . وكانت المفاوضات بين اللنبي وأعوانه الارستوقراطيين جارية للوصول الى ما يخدر الشعب ولو الى حين ، حتى توصلوا الى « تصريح ٢٨ فبراير » الذي لم يكن فيه شيء يستحق الذكر سوى منح السلطان لقب « ملك » وتولى ثروة باشا صاحب هذه المفاوضات رئاسة الوزارة وعاد زغلول الى مصر في خريف سنة ١٩٢٣ . وفي أوائل سنة ١٩٢٤ اجريت انتخابات البرلمان المصري ففاز الوفد بالاكثرية وألف زغلول الوزارة . وكان العمال قد توصلوا الى الحكم في انكلترة فجرت بين زغلول ومكدونالد مفاوضات لم تقصد الحكومة البريطانية منها سوى

تمضية الوقت للفت في عضد الحركة الوطنية المصرية[١] وقد كشفت هذه المفاوضات عن حقيقة رجال حزب العمال (الذين كانوا يدعون الاشتراكية) وأثبتت انهم لا يمتازون بشيء في سياستهم الخارجية عن تشرشل وكرزن وغيرهما من الاستعماريين الاقحاح[٢].

ولما جاء المحافظون الحكم على أثر فشل المفاوضات بين سعد ومكدونالد أخذوا يتحينون الفرص للايقاع بالوفديين والتخلص من وزارتهم . وكانت القاهرة يومئذ تغلي من شدة الحماس الذي غمر الحركة الوطنية المصرية . وكان مكدونالد قد أعلم المعتمد السامي ان بريطانية مصممة على الاحتفاظ بسيادتها في السودان فازاد ذلك في هياج المصريين وكان من جملة أسباب اغتيال السر دار السر لي ستاك — حاكم السودان — في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٤ . فوجدت حكومة المحافظين في ذلك الوسيلة التي تخلصت بها من وزارة سعد .

وكان الاتفاق قد تم بين الجهات المصرية العليا والانكليز على مقاومة الوفد فدخلت مصر دور الحكم الدكتاتوري . وانتدب المحافظون اللورد لويد للقيام بمهمة الحكم المباشر في عهده الجديد . ولا زال هذا الوضع قائماً في مصر وان تخلله بعض فترات اضطر الانكليز فيها الى قبول تولي الوفديين ريثما يتمكنون من التخلص منهم بتدبير للكايد مع أعوانهم الارستوقراطيين .

---

(١) Nationalism and Imperialism in The Hither East, by Hans Kohn, Chap. x

(٢) Ralph Fox ص ٨٥ — ٨٦

وهكذا قضت مصر زهاء عشرين عاماً تتخبط في مكايد المستعمرين ودسائس الارستوقراطيين وتخاذل الوطنيين . ولعل القسط الاعظم من مسؤولية تخاذل الحركة الوطنية فيها يرجع الى جمود الوفد وتمسكه باساليب فات أوانها ولم يعد يرتجي من ورائها أي نفع ؛ فهو لا زال بعد كل هـذه التجارب القاسية يأمل الوصول الى الاتفاق مع الانكليز بطريق المفاوضات شأن جميع أحزاب الطبقات الوسطى التي تتخذ السياسة وسيلة للغنم ولصيانة حقوق طبقتها . والوفد هو المسؤول كذلك عن فهم الشعب المصري الاستقلال بمعناه الضيق المقصور على التخلص من حكم الاجنبي المستعمر الوقوع بقبضة المستغلين والمستثمرين من الرأسماليين المواطنين . ولم يعلن الوفد حتى الآن منهاجاً سياسياً يستهدف اصلاح المجتمع المصري وانقاذ الفلاح مما يقاسي من بؤس وتخليصه من مخالب الجهل والرجعية والامراض التي فتكت فيه . ولن يستطيع الوفد الالتفات الى مثل هـذه الشؤون الشعبية ما دام قوامه العمد والملاكون وأغنياء الطبقة الوسطى .

وقد بدت في مصر طلائع حركة العمال منذ عام ١٩١٩ يوم أضرب عمال الترامواي في القاهرة والاسكندرية وطالبوا بتزييد الاجور وتحديد ساعات العمل وضمان العامل في حالتي المرض والعطل ؛ وقد استمر اضرابهم بضعة أسابيع حتى اضطرت الشركات في النهاية الى تنفيذ مطالبهم . وانتشرت جمعيات العمال في أنحاء القطر المصري فبلغ عددها سنة ١٩٢٢ ثمانياً وثلاثين جمعية في القاهرة ، وثلاثاً وثلاثين في الاسكندرية ، وثماني عشرة في منطقة القناة وستاً في الضواحي . وتألف حزب اشتراكي معتدل

فظهرت فيه زمرة من المتطرفين بزعامة محمود حسني العرابي الذي زار موسكو في سنة ١٩٢٢ وأوثق الصلة بالدولية الثالثة وعاد الى مصر فقاد الجناح الايسر داخل الحزب حتى فاز بالاغلبية فيه . وأخذ هذا الحزب يطالب بحقوق العمال ويقاوم الاستعمار والتشريع الرجعي والاقطاع . فلما كانت سنة ١٩٢٤ اشتد النزاع بين العمال والرأسماليين فاضرب العمال في الاسكندرية واحتلوا المعامل بضعة أيام ؛ فاتخذ سعد من ذلك ذريعة للقضاء على هذه الحركة المناوئة لحركة الطبقة الوسطى التي يمثلها فقضى عليها وهي في المهد[1]. وقد أصبحت حركة العمال في الوقت الحاضر العوبة بيد الارستوقراطيين والوفديين ، غير ان مثل هذا الوضع لا يمكن ان يدوم .

ان الركود المخيم على الحركة الوطنية في مصر بعد الحماس الملتهب الذي تجلت به بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٤ ، وعجز الوفد عن اتخاذ الوسائل الفعلية لحل مشاكل البلاد ، وتدني حالة الفلاح والعامل تدنياً لم يسبق له مثيل ، والبون الفاحش بين حالتي السواد الاعظم والطبقات الخاصة ؛ كلها تشير الى ان عهد الوطنية التقليدية قد أشرف على الزوال وان مصر تتهيأ الآن لعهد جديد .

ومصر — كسائر بلدان الشرق الادنى — تفتقر الآن الى مثل تلك الروح التي انبعثت في الهند فحملت الشعب على نبذ الوطنية التقليدية بعد ان وجد انها خذلت قضية البلاد بميلها الى مساومة المستعمرين واستهدافها

---

(١) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East ص ٢١٤ — ٢١٥

تحقيق مصالح الطبقة الخاصة ، ورأى ان رجالها كانوا عوناً للاستعمار على تمزيق وحدة البلاد وتفريق الصفوف بمنازعاتهم الشخصية وسعيهم وراء النفع الذاتي . وسيكون الصراع بين الاستعمار وشعوب الشرق صراعاً عنيفاً لا مهادنة فيه . وسيكون الفوز فيه للشعوب حتماً ؛ فالاستعمار الذي استطاع ان يحتفظ بسيطرته على بلدان الشرق ببذر بذور التفرقة والشقاق واثارة الفتن وسوق الشعوب وراء الاوهام وتدبير المكايد مع صنائعه من أبناء البلاد لن يتسع له المجال لاستخدام مثل هذه الاساليب بعد ان تتغلغل الروح الجديدة فى صفوف السواد الاعظم وتحمله على توحيد الكلمة لمطادرة الرأسماليين والمستغلين وأعوان الاستعمار من غير تفريق .

الفصل الحادي عشر

صلات روسية السوفيتية بالشرق الاوسط والادنى

كانت روسية القيصرية من أشد الدول الرأسمالية اندفاعاً لاستعمار بلدان الشرق ، وكان استعمارها — وهو وليد النظام الفاسد الذي كانت تتبعه — صريحاً في عسفه فضيعاً في أساليبه ، حتى كان ذكر روسية في بلدان الشرق مثاراً لأشد درجات النفرة والنقمة ، وكان الفوز الذي أحرزته اليابان في حرب روسية سنة ١٩٠٤ مبعث الغبطة والسرور في كافة بلدان الشرق التي اعتبرت هذا الانتصار بشيراً باضمحلال شأن القيصرية .

غير ان النضال بين الشعب الروسي والقيصرية البغيضة كان من جهة اخرى موضوع اهتمام الشرق منذ ان بدت بوادره في أواخر القرن التاسع عشر . وقد كان لثورة سنة ١٩٠٥ — التي حاول الشعب الروسي ان يقتلع بواسطتها النظام القيصري من جذوره — من الوقع في جميع أنحاء الشرق ما لا يقل عما أحدثته الثورة الفرنسية في بلدان القارة الاوربية . فقد انتعشت بتأثيرها روح الحرية في الشرق فنشطت الجمعيات الثورية التي كانت تعمل على خلع السلطان عبدالحميد ؛ وتشجع الاحرار في ايران والصين وفي غيرهما من بلاد الشرق في كفاحهم ضد الاستبداد والاستعمار[1] .

على ان انقلاب سنة ١٩١٧ الذي أوجد النظام السوفيتي في روسية

---

(١) The Problem of National and Colonial Policy and The Third International, by M. Pavlovich

وضع الصلات بينها وبين بلدان الشرق وشعوبه على أساس جديد . فان النظام السوفيتي الذي اقتلع القيصرية وأزال آثار الرأسمالية الفردية في روسية ترك كذلك السياسة الاستعمارية التي استلزمها العهد البائد وحمل الحكومة السوفيتية على الوقوف بجانب الشعوب الشرقية المرهقة لمقاومة الرأسمالية والاستعمار . وهذا التعاون بين حكومة السوفيت والشعوب الشرقية قائم على اعتقاد الشيوعيين ان تحقيق النظام الشيوعي ودوامه يستلزم شمول هذا النظام كافة أنحاء المعمورة . ولما كانت الشيوعية تستهدف القضاء على الرأسمالية ، والرأسمالية والاستعمار شيء واحد[١] ؛ ولما كانت الرأسمالية في الجبهة الشرقية أضعف منها في الجبهة الغربية لامكان التعاون ضدها مع الشعوب المرهقة في المستعمرات ؛ قرر الشيوعيون ان يبدأوا بمنازلة الرأسمالية في الشرق دون الغرب . ومما حملهم على اتخاذ هذه الخطة أيضاً ما تبين لهم في تجربة الانقلاب الروسي ، من ان تحقيق الشيوعية في المستعمرات والبلدان التي تكون فيها الاسس الرأسمالية غير راسخة أسهل من تحقيقها في الممالك الصناعية التي بلغت فيها الرأسمالية أوج قوتها[٢] ؛ واعتقادهم ان الاستعمار الذي يفسح المجال لارهاق مئات الملايين من سكان المستعمرات وابتزاز أعظم مقدار ممكن من الربح لرؤوس الاموال قد ساق الرأسماليين — لتسهيل الحصول على هذا الربح — الى مد السكك الحديدية وانشاء المعامل وتأسيس

---

(١) فالاستعمار هو الدور الاخير من أدوار الرأسمالية

(٢) وهو خلاف ما جاء به ماركس وما كان متوقعاً قبل الثورة الروسية من ان النظام الرأسمالي سيتقوض في الممالك التي تكامل فيها النظام الصناعي قبل البلدان الزراعية المتأخرة

المراكز التجارية والصناعية وتهيئة ماهو ضروري من التعليم لأبناء الشعوب المستعبدة لاعدادهم للاستخدام ، فتكوّنت في المستعمرات بنتيجة هذه التدابير طبقة من العمال والمفكرين وانبعث الاحساس العام في الجماهير وتفلغلت النزعة الى الحرية في النفوس فتوفرت بذلك جميع وسائل التعاون بين حكومة السوفيت وسكان المستعمرات للقضاء على الرأسمالية والاستعمار . على هذا الاساس جوز الشيوعيون الروس التعاون مع الوطنيين فى الشرق اذ اعتبروا نضال ملك أفغانستان فى سبيل استقلال بلاده نضالاً ثورياً — وان كان القائمون به ملكيين — ما دام يستهدف ازالة الاستعمار ، والكفاح القائم بين التجار والمفكرين من أبناء الطبقة الوسطى وبين الاستعمار فى مصر كفاحاً ثورياً بالرغم من أنهم يقاومون الاشتراكية ويناصبونها العداء . وقد وضعت حكومة السوفيت صلاتها بشعوب الشرق وممالكه على هذا الاساس فاحدثت بذلك انقلاباً فى السياسة الدولية لا يقل خطورة عن الانقلاب الروسي[1] .

على ان الدولية الثالثة فى روسية لم تهمل أمر بث الدعاية الشيوعية فى ممالك الشرق ؛ وكانت الاحوال فيه تشجعها على ذلك . فان وسائل المواصلات — وقد ربطت أجزاء الشرق ببعضه وبالغرب — كشفت للشرقيين عن مظاهر المدنية الغربية والتقدم المادي الذي حققه العلم وأخرجت سكان القرى من عزلتهم الموحشة . ثم جاءت الحرب العامة فعجلت خطى هذا التطور بفسحها المجال للرأسمالية الشرقية ان تنمو وتحظى بالارباح الطائلة ؛ وكانت الاعمال الحربية قد استلزمت ان تصرف بعض نفقات الحرب فى

(١) Stalin, The Theory and Practice of Lininism

الشرق فتوسع من جرائها نطاق الكسب للطبقات الفقيرة فتذوقت لذة الرفاه المحدود لأول مرة واتصلت بالغربيين فعرفت ما لم تكن تحلم به من أسباب العيش ووسائل التمتع فلم تعد تحتمل الفقر فنزعت عنها ثوب القناعة التي فرضت عليها الجمود عدة قرون . غير ان سعة العيش التي أوجدتها الحرب لم تدم طويلاً فقد أعقبتها الازمات الاقتصادية وعاد الرأسماليون فاستنزفوا ما تركته الحرب من الاموال وأنزلوا الشعوب الى أحط دركات الجوع والفاقة . ولم تكن لدى السواد الاعظم — الذي تذوق طعم الرفاه فترة من الزمن — قابلية احتمال الجوع والفاقة فعمرته روح النقمة والتبرم من أوضاعه الاجتماعية فوجد الشيوعيون فى ذلك الارض الصالحة لبذر المبادئ الثورية فى صفوفه .

وكانت الطبقات الحاكمة فى الشرق قد استبشرت أول الامر بالدعاية الثورية اذ اعتبرتها عوناً لها فى كفاحها ضد الاستعمار ولكنها لم تلبث ان أحست بالخطر الذي يتهدد مصالحها من جراء هذه الدعاية فعادت الادبار وانحازت الى جانب المستعمرين تعمل معهم على مقاومتها فكان ذلك برهاناً ساطعاً على ان « الاحساسات الطبقية » أشد فعلاً فى النفوس من الاحساسات الوطنية[1] . وأخذت الدولية الثالثة[2] تعمل لاثارة احساس الطبقات فى

---

(١) يرى الفارابي شواهد هذا التعاون بين المستعمرين ووطني الطبقة الوسطى بجلاء فى بحث الهند ومصر (الفصل الحادي عشر) . وقد تكررت مثل هذه الشواهد فى الممالك الاخرى أيضاً ، فالمهاجرون الفرنسيون مثلا ظاهروا المانية على فرنسة أثناء الثورة الفرنسية ، والطبقة الوسطى الروسية تعاونت مع المانية — عدوة روسية — ومع الحلفاء أيضاً ضد روسية أثناء الثورة

(٢) الدولية الثالثة هي المؤسسة العالمية التي ألفها الشيوعيون لمعارضة الدولية الثانية وقد ألفها الاشتراكيون الاوربيون فى خلال الحرب العامة فجوزت الاشتراك فى الحرب

الشرق فعقدت فى ايلول سنة ١٩٢٠ مؤتمراً من ممثلي الشعوب الشرقية (١) .

دفاعا عن مصالح الوطن . والدولية الثالثة في موسكو هي الهيئة العليا المناط بها أمر البت في كل ما له علاقة باسس الشيوعية وقواعدها ، وتقرير الخطط التي تلزم باتباعها كافة الاحزاب الشيوعية والمؤسسات المرتبطة بها في مختلف أنحاء العالم ، وتعيين الوسائل والسبل التي يستخدمها الشيوعيون في محاربة الرأسمالية ، وبث الدعاية للشيوعية في العالم ، وتدريب الدعاة ، وتنظيم الجبهة الشيوعية وتوحيد كلمة الاحزاب والكتل الشيوعية في مختلف البلدان والحيلولة دون وقوع الانشقاق والاختلاف فيما بينها ، ومد المؤسسات الشيوعية فى العالم بالمال عند الحاجة . وتتألف الدولية الثالثة من مؤتمر ينعقد مرة في السنة على الاقل ، وديوان رئاسة دائم ولجنة تنفيذية وهيئة ادارية غير سياسية (The International Commission of Control

(١) وقد تجلت النزعة الطبقية فى الدعوة لعقد هذا المؤتمر كما يتبين من مضمون الفقرة التالية : يا فلاحي ايران وعمالها ؛ ان حكومة طهران القاجارية ومستخدميها — حكام الولايات — قد اختلسوا أموالكم واستغلوكم قروناً عديدة . ان الارض التي جعلتها الشريعة ملكا مشاعاً بينكم قد انتقلت شيئاً فشيئاً الى حوزة خدم حكومة طهران الذين يفعلون ما يحلو لهم فيثقلون كاهلكم بالضرائب كما يشاؤون . وقد باعوا البلاد الى الرأسمالية الانكليزية قبل عام بعد أن أصبحت الارض بحال لم تعد تصلح معه للاستثمار ..... . وأنتم يا فلاحي الانضول ، لقد انضويتم تحت لواء كمال باشا لمكافحة الدخلاء المختلسين ، ولكن قد بلغنا انكم ساعون في الوقت عينه الى تأليف حزب خاص بكم — حزب خالص للفلاحين — وانكم عازمون على المضي في كفاحكم حتى بعد ان يتوصل الباشوات الى الاتفاق مع لصوص الحلفاء . ويا أيها العمال والفلاحين — فى الشرق الادنى — انكم لو وحدتم الصفوف وألفتم لكم حكومة عمال وفلاحين خاصة بكم وجهزتم أنفسكم بالسلاح وتحالفتم مع الجيش الاحمر المؤلف من العمال والفلاحين الروس لاستطعتم ان تقفوا بوجه الرأسماليين الاجانب وان تصفوا الحساب مع المستغلين من مواطنيكم وان تقرروا ما هو فى صالحكم على أساس التحالف المطلق مع جمهوريات العمال فى كافة أنحاء المعمورة وان تستثمروا بلادكم لمنفعتكم ولمنفعة عمال العالم أجمع الذين سيتبادلون منتوجات عملهم بشرف ويتعاونون باخلاص . اننا نريد ان نبحث معكم فى هذا الامر فى باكو فلا تألوا جهداً عن القدوم اليها باكبر عدد ممكن . لقد بقيتم دهوراً تقطعون الصحراء للحج الى الاماكن المقدسة لتبتهلوا الى الله والى ماضيكم ، فاقطعوا الصحاري واجتازوا الجبال والانهار الآن وتعالوا نبحث عن طريق الخلاص من العبودية ونرتبط بروابط الاخوة لكيما نعيش أحراراً متساوين

وقال زينوفيف[١] في هذا المؤتمر :

« علينا ان ننزل بالرأسمالية البريطانية أشد ضرباتنا ، غير »
« اننا نريد ان نذكي في الوقت عينه نار البغضاء في نفوس »
« الطبقات العاملة نحو الطبقات المثرية في الشرق وتحملها »
« على مكافحة المستغلين من دون تفريق . وليس غرض »
« الثورة التي بدت بوادرها في الشرق ان تتضرع الى »
« الاستعمار الانكليزي طالبة اليه ان يزيح رجله من المائدة »
« ليتسع المجال للأغنياء الاتراك ان يبسطوا أرجلهم »
« عليها من غير عناء . »

وكتب في مقال له في جريدة « الازفستيا » في ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٢٥ يقول :

« اننا لا نستطيع ان نتخذ موقف الحياد تجاه الحركات »
« الوطنية التي انضوى تحت لوائها مئات الملايين من »
« الشرقيين لأن ذلك معناه انحياز الاتحاد السوفيتي الى »
« معسكر الاستعمار الغربي وتمكينه الدول الغربية ولاسيما »
« انكلترة من الاستحواذ على الصين وبقية البلدان »
« الشرقية ثم التوجه على روسية . ان الاتحاد السوفيتي »
« هو محط آمال الشرق المتيقظ ، وان الثورة الكبرى »
« التي قلبت روسية من مقبرة للشعوب الى عائلة يعيش »

---

(١) وكان رئيس مؤتمر الدولية الثالثة

« أفرادها في ظل المساواة قد أمست مناراً للجماهير »

« المرهقة في الشرق . وروسية السوفيتية تعتمد في سياستها »

« الخارجية على هذه الشعوب المرهقة ومنها تستمد قوتها . »

« وهذا هو الذي حمل الاستعمار الغربي ولاسيما الاستعمار »

« الانكليزي على العزم على مهاجمة الاتحاد السوفيتي . »

ومن هذا يظهر للقارئ ان روسية السوفيتية كانت تعلق آمالاً عظيمة على الشعوب المرهقة في المستعمرات وانها في الوقت الذي كانت تؤيد فيه الحركات الوطنية في تركية وايران والافغان وغيرها كانت تسعى من جهة اخرى لتنظيم صفوف العمال والفلاحين في الشرق وتوحيد كلمتهم وحملهم على رفع لواء الثورة ضد الطبقات المثرية والزمر الحاكمة والاستعمار الغربي في وقت واحد ، وبذلك تضرب الرأسمالية الغربية وتحقق ثورة اجتماعية في الشرق تكون أول خطوة في سبيل الثورة العالمية التي تريد تحقيقها . ولكن روسية السوفيتية لم توفق الى ما كانت تتوق اليه لأسباب لا يتسع المجال للبحث فيها الآن ، بالرغم من الجهود العظيمة التي بذلتها الدولية الثالثة في هذا السبيل . وبالرغم من ان المؤتمر الثالث لممثلي الشعوب الشرقية الذي انعقد في موسكو في صيف سنة ١٩٢١ ضم ممثلي الاحزاب الشيوعية في ايران وتركية والهند وكورية واليابان وممثلي الشيوعيين في منغولية والصين الا ان هذه الاحزاب لم تكن في الحقيقة غير زمر صغيرة من هواة التطرف مفتقرة الى كثير من التنظيم ودوافع الجهاد الصادق . وقد

قال ممثل ايران فى هذا الصدد :

« قد تعجبون لوجود الاحزاب الشيوعية فى كثير من »
« ممالك الشرق ؛ فثلاثة فى تركية واثنان فى كل من »
« ايران وكورية وهكذا . والسبب فى ذلك هو ان كل »
« باشا يريد ان يستغل المبادئ الشيوعية لأغراضه الخاصة »
« فيعمل على تأليف حزب شيوعي خاص به . »

وصرح « رئيس لجنة المسلمين الثوريين » بان الروح الاسلامية تسيطر على كثير من المؤسسات الشيوعية فى الشرق . ولما انعقد المؤتمر الرابع عام ١٩٢٢ حضره ممثلوا الاحزاب الشيوعية فى الصين والهند وايران وتركية وجاوا ومنغولية وكورية ومصر ؛ ولكن تبين ان عدد أعضاء هذه الاحزاب لا زال ضئيلاً جداً فاعضاء حزب الصين لم يتجاوز عددهم الثلثمائة وأغلبهم لم يقم بالواجبات المترتبة عليه ، وعدد أعضاء الحزب الياباني لم يتعد الالف والثلثمائة عضو مع ان هذا الحزب كان أكبر الاحزاب الشيوعية فى الشرق . وأظهر التقرير الذي قدم عن هذه الاحزاب فى المدة بين المؤتمر الرابع والخامس ان نطاقها بقى محصوراً وان الهيئات الحاكمة قد أدركت خطر الدعايات التي تقوم بها هذه الزمر فازمعت مطاردتها ، فارتفعت وزارة زغلول باشا سنة ١٩٢٤ زعماء العمال وألغت جمعياتهم ، وألفت الحكومة التركية فى خريف سنة ١٩٢٣ نقابة للعمال لتقاوم بها الميول الشيوعية ، وضاق نطاق عمل الاحزاب الشيوعية فى الهند واليابان وكورية لشدة مطاردة الحكومات لها واضطر الحزب الشيوعي فى جنوب الصين الى التعاون مع الحزب الوطني

الثوري (حزب سن يت سن)[١] .

وقد اضطرت الحكومة السوفيتية بعد تقرير السياسة الاقتصادية الجديدة (NEP) فى سنة ١٩٢٤ ان تحصر جهودها فى تدبير شؤونها الداخلية فاهملت موضوع الدعاية الشيوعية فى الشرق وتدهورت مالية الدولية الثالثة فلم يبق باستطاعتها ان تمد الاحزاب والزمر الشيوعية المربوطة بها بالمساعدات المالية ؛ حتى اذا كانت سنة ١٩٢٧ وهي السنة التي شرع فيها بتنفيذ مشروع السنوات الخمس الاول ، انصرفت الحكومة السوفيتية عن العناية بقضية الدعاية فى الخارج الى شؤونها الاقتصادية واكمال الانقلاب الصناعي وانهاء قضية الارض والفلاحين وصارت تنظر الى الفوز الذي توقعت احرازه فى حل مشاكلها الاقتصادية كأقوى دعاية لها . ولكن البذور التي بذرتها فى بلدان الشرق فى تلك المدة القصيرة ، وفشل الحركة الوطنية فى مقاومة الاستعمار فى الهند ومصر ، واشتداد الضيق والفاقة بعد الازمة الاقتصادية التى اكتسحت العالم منذ سنة ١٩٢٧ كلها أيقظت شعوب الشرق وحملتها على الاعتماد على نفسها فى مكافحة الاستعمار ومؤيديه من مستغلي الوطنية التقليدية ورجال الاقطاع والرجعيين الذين كانوا عوناً للاستعمار على الشعوب ، ففتحت بذلك عهداً جديداً فى تاريخ الجهاد الشعبي الذي ينتظر ان يغمر جميع ممالك الشرق عما قريب .

* * *

ان روسية السوفيتية ولو انها لم تحرز الفوز الذي كانت تتوقعه في حمل

---

(١) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East ص ١٤٥ — ١٥٢

الشعوب الشرقية على رفع علم الثورة ضد المستعمرين والمستغلين من غير تفريق والانضواء تحت الراية الحمراء ضد الجبهة الرأسمالية غير انها توفقت الى نصر مبين على السياسة الاستعمارية في الشرق بمناصرة الحركات الوطنية في تركية وايران وبلاد الافغان والصين ، ومطاردة الاستعمار في الشرق الاوسط والادنى ، والمحافظة على صلات الود وتبادل التعاون الاقتصادي والسياسي مع الحكومات الوطنية الجديدة التي نشأت فيه عقب الحرب العامة .

ان روسية بسياستها الجديدة التي نزعت فيها الى السير على نقيض السياسة القيصرية فمنحت جميع الشعوب التي كانت خاضعة للحكم القيصري حق تقرير المصير واختيار الانفصال أو الانضمام الى الاتحاد السوفيتي مع المساواة التامة ببقية أعضاء هذا الاتحاد والاحتفاظ بصورة دائمية بحق تقرير المصير والاحتفاظ بالميزات العنصرية من لغة وتقاليد وغيرها[1] ، بينما كانت الدول الرأسمالية الاخرى تتخاصم فيما بينها على اقتسام أسلاب الحرب بمقتضى المعاهدات السرية التي كانت قد عقدتها وهي تجاهر بانها انما أعلنت الحرب على المانية لصيانة الديمقراطية وضمان حقوق الشعوب

---

(١) انعقد مؤتمر الاتحاد السوفيتي الاول بموسكو في ٣٠ كانون الاول سنة ١٩٢٢ فوضع اسس الاتحاد وانتخب اللجنة التنفيذية فوضعت في ٦ تموز سنة ١٩٢٣ لائحة دستور الاتحاد . وقد ذكر البيان الذي ارفق بهذا الدستور : انه ان ثبت ان الرأسمالية غير قادرة على اقامة نظام يضمن تعاون الشعوب مع بعضها على أساس المساواة والحرية فان الاشتراكية وحدها تستطيع ان توجد جواً تسوده الثقة المتبادلة وتضع قواعد التعاون الاخوي بين الشعوب . ومما جاء فيه أيضاً ان الاتحاد عبارة عن عصبة امم حرة تتمتع بالمساواة في الحقوق ، وان لكل جمهورية حق الانسحاب من الاتحاد متى شاءت ، وان الانضمام الى الاتحاد ممكن لجميع الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية الموجودة الآن أو التي ستنشأ في المستقبل

في تقرير مصيرها ، قد زعزعت جذور الاستعمار الرأسمالي الاوربي في الشرق باظهار البون الشاسع بين السياسة الرأسمالية القائمة على المكر والخداع والاغتصاب والسياسة الاشتراكية القائمة على الصراحة وتبادل المنافع والمساواة ، وبفضح المعاهدات السرية التي عقدها الحلفاء أثناء الحرب العامة لاستعباد الشعوب . وقد برهنت بمنحها الشعوب الشرقية المتأخرة — في تركستان ومنغولية — الاستقلال التام على أن ادعاء الحكومات الغربية بان الشعوب الشرقية لا تصلح لأن تحكم نفسها بنفسها من دون معونة الغربيين وتدريبهم لها على اصول الحكم الذاتي ادعاء باطل[1] . فان الشعوب التي منحت حق التمتع بالاستقلال الداخلي التام في ظل الاتحاد السوفيتي بالرغم من انها كانت أحط من شعوب الشرق الادنى وغيرها من الشعوب التي حرمها الاستعمار الاوربي حق الحرية بدعوى انها لا تصلح للتمتع بهذا الحق قد قطعت فضلاً عن النجاح الذي تحقق لها في ادارة شؤونها الذاتية في هذه المدة الوجيزة أشواطاً شاسعة في ميدان التقدم بتعميم العلم وتحرير المرأة ومنحها حق الانتخاب ومساواتها بالرجل واقتباس القواعد والنظم الاجتماعية الحديثة والغاء كافة القوانين والتقاليد الرجعية . ولما كانت هذه الشعوب تقيم في البلاد المتاخمة لمستعمرات الرأسمالية الغربية في آسيا — ولاسيما المستعمرات

---

(١) في الاتحاد السوفيتي في الوقت الحاضر جمهوريات لأقوام كان بعضها لا يزال في دور الهمجية حتى آخر لحظة من لحظات العهد القيصري البائد كالبشكير والتتر والقريين والياقوتيين والمغول وهي الآن تتمتع بالاستقلال الداخلي التام ، وفيها كذلك زمر من الشعوب الصغيرة تتمتع بالاستقلال الذاتي في ولايات خاصة بها (كالشوفانيين والكلموكيين والكرشافيين) وتحتفظ لغاتها وتقاليدها وخصائصها . وأغلب هذه الشعوب يعتنق الاسلام والبوذية وبعضها يدين بعقائد القرون الاولى

الانكليزية — فقد أصبح التقدم الذي أحرزته والحقوق الذاتية التي تتمتع بها أكبر حافز لشعوب المستعمرات على القيام ضد الرأسمالية الغربية .

وقد أحرجت حكومة السوفيت موقف الاستعمار الغربي في الشرق أيضاً : بالغاء الامتيازات الاجنبية التي كانت من أكبر العوائق في سبيل تقدم الشعوب ومن أهم أسباب الفوضى والتبابل الذي حل بممالك الشرق افسحها المجال للغربيين ان يتدخلوا في شؤون القضاء ، ويخلوا بقاعدة المساواة أمام العدالة ويعفوا أنفسهم من كثير من الضرائب ليتسع أمامهم مجال الاستغلال ؛ وبالتنازل عن جميع المشاريع والمنافع الاقتصادية التي اغتصبت في عهد القيصرية في تركية وايران وبلاد الافغان والصين وغيرها من بلدان الشرق بسخاء لم تشهد الشعوب الشرقية له مثيلاً من قبل[1] .

وأثبتت روسية السوفيتية انها كانت صادقة فيما جاهرت به من المبادئ بخلاف الدول الرأسمالية الاستعمارية التي كانت تبطن نقيض ما كانت تجاهر به ، فاعترفت — في أول فرصة سنحت لها — بالدول الشرقية الحديثة

---

(١) فقد أعادت حكومة السوفيت الى ايران جميع الخزر والاراضي التي اغتصبتها القيصرية بعد سنة ١٨٩٣ وألغت جميع الديون التي كانت لحكومة القيصر على حكومة ايران وسلمت اليها البانق الروسي (Banque de Prêt-et-Escompte) المؤسس في ايران وجميع فروعه وتنازلت لها من دون عوض عن جميع الطرق وأسلاك ومراكز البرق والمرافئ التي أنشأتها الحكومة القيصرية في الاراضي الايرانية وألغت جميع ما كان للروس من الامتيازات وقدمت اليها جميع المعاهد والابنية والاموال الراجعة الى الارساليات الروسية الارثدوكسية في ايران (على شرط ان يستفاد من المعاهد والابنية لمقاصد التعليمية) وألغت جميع الامتيازات والحقوق القنصلية . وفعلت مثل ذلك مع حكومة الافغان وأعادت اليها جميع أراضيها التي ضمت الى أملاك القيصرية وبخارى في خلال القرن التاسع عشر (Hans Kohn, A History of Nationalism in The East ص ٢٣٨)

وعقدت معها المعاهدات على أساس تبادل المنافع والتعاون فكانت أول دولة غربية رضيت ان تقف الى جانب دول الشرق — تركية وايران والافغان — على قدم المساواة وتتعامل معها بصراحة وحسن نية .

وقد أبدلت الحكومة السوفيتية سياسة روسية تجاه تركية منذ أول عهد الثورة البلشفية وقبل ان تنشأ حكومة تركية الحديثة فرحبت بالوفد العثماني الذي توجه الى موسكو برئاسة طلعة باشا وتنازلت للدولة العثمانية عن باطوم واردوهان وقارص البالغة مساحتها جميعاً نحواً من ٦٠٠٠ ميل مربع . واتصلت بالحركة الكمالية منذ أول نشأتها ؛ وكان ستالين — الذي أشغل يومئذ منصب وكالة الشعب للقوميات — أكبر سائق لها في سياستها هذه وكانت الحكومة السوفيتية تعتبر الاتصال بتركية الكمالية من القواعد الاساسية التي ترتكز عليها سياستها الخارجية اذ ان الحلفاء كانوا قد اتخذوا استانبول قاعدة لمناوراتهم وتدبيرهم الخطط مع الحركة الرجعية ضد الثورة ، فكانوا يمدون الجنرال دينيكن زعيم الروس البيض بالمساعدات المالية منها ويجهزونه بالمعدات والمؤن الحربية . وكان احتلال جيوش الحلفاء ولايات القفقاز وشمال ايران وتركستان[1] حائلاً دون اتصال البلشفيك بالاتراك فلما انسحبت هذه الجيوش شرعت الحكومتان حالاً بالمفاوضات فأوفدت حكومة مصطفى كمال باشا بكر سامي بك ، وزير الخارجية ، الى موسكو لمفاوضة

---

(١) فقد أوفدت الحكومة البريطانية فى أوائل سنة ١٩١٨ بعثة عسكرية برئاسة الجنرال دنسترفيل الى تفليس ليساعد جمهوريات القفقاز ضد الاتراك والروس فاحتل باكو . وأوفدت بعثة اخرى برئاسة الجنرال السر وليفرد مالليسن الى تركستان الروسية فاحتلت اشقباد . وأنشأت اسطولا فى بحر الخزر انضم الى الجنرال دينيكن ودمر الاسطول الروسي .

روسية ، وأوفدت الحكومة السوفيتية بعثة الى أنقرة استقبلتها تركية استقبالاً حافلاً وبذلك بدأ عهد التقارب بين الشعبين التركي والروسي بعد ذلك الجفاء . وقد أسدت روسية بهذا الولاء الذي أبدت به تركية الكمالية في أشد أوقات محنتها من المعونة والمساعدة ما سيحتفظ الاتراك بذكره كأعظم خدمة اسديت لهم . فقد أمدتهم بالاموال والمؤن والعتاد[١] ورحبت صحفها بالنهضة التركية أعظم ترحيب وبثت لها دعاية عظيمة ضد اليونان والاستعمار الانكليزي في الوقت الذي كانت فيه الصحف الاوربية تشنع بها وتتهمها بافضع التهم ، وأرسل الروس أيضاً وفداً برئاسة شيشرين ، وكيل الشعب للشؤون الخارجية ، الى مؤتمر لوزان فأيد موقف تركية ضد الحلفاء في قضية المضايق واستانبول ، ولكن أعظم فضل لروسية السوفيتية على تركية الحديثة هو ضمان سلامة حدودها الشمالية وتوفير الطمأنينة لفلاحي الاناضول الذين كان القلق من جانب الروس يملأ قلوبهم فتسنى لهم ان يتفرغوا لحرب اليونان وينصرفوا للدفاع عن حدودهم الغربية حتى فازوا ذلك الفوز المبين[٢] .

وفي ١٦ آذار سنة ١٩٢١ عقدت روسية السوفيتية وتركية الكمالية معاهدة جاء في مقدمتها : « ان الطرفين المتعاقدين يقرّان وحدة المنافع التي تربط شعوب الشرق — في جهادها للحصول على الحرية الوطنية — بالجماهير العاملة في روسية في كفاحها لاقامة النظام الاجتماعي الجديد ، ويقران حق شعوب الشرق في التمتع بالحرية والاستقلال واقامة حكوماتهم حسب

---

(١) وان كان البعض يعتقد ان ما يشاع عن هذه المساعدات المادية مبالغ به

(٢) Kruger ، الفصل السابع ، ص ١٠٣ — ١٠٩

ما يرغبون . » وقد اعترفت حكومة السوفيت في هذه المعاهدة بالحدود التركية التي أقرها الميثاق الوطني التركي[١] .

وكان موقف حكومة السوفيت تجاه ايران الناهضة لا يختلف عن موقفها تجاه الاتراك فقد ساعدتها في التخلص من الجيوش الانكليزية التي كانت قد احتلت القسم الشمالي منها ورحبت بالسفير الايراني في استانبول الذي وصل موسكو في تشرين الاول سنة ١٩٢٠ لمفاوضة حكومتها وانتهت المفاوضات بعقد معاهدة ٢٦ شباط سنة ١٩٢١ ، التي جاء فيها :

« ان روسية السوفيتية تصرح ، وفقاً لبياناتها في سنتي »
« ١٩١٨ و ١٩١٩ ، ببطلان سياسة الارهاق التي جرت »
« عليها حكومة روسية القيصرية تجاه ايران . وانها »
« اظهاراً لرغبتها الصادقة في ان ترى ايران تتمتع بالاستقلال »
« والرفاه والحرية في استثمار مرافق بلادها ، تعلن الغاء »
« جميع المعاهدات والاتفاقيات و (المفاهمات) التي تمت »
« على أساس الاستخفاف بحقوق الشعب الايراني بين »
« الحكومة القيصرية وحكومة ايران . وحكومة روسية »
« السوفيتية تستفضع سياسة الحكومة القيصرية التي »
« أدت الى ان تعقد روسية مع الدول الاوربية معاهدات »
« تتعلق بممالك الشرق خلافاً لرغبة الشعوب الشرقية »

---

(١) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East
ص ١٥٤ و ٢٥٤

« المختصة بحجة ضمان استقلالها ، تلك المعاهدات التي »
« أدت الى الاستيلاء على المملكة التي اختصت بها . »
« ان حكومة روسية السوفيتية قد ضربت صفحاً بصورة »
« نهائية عن سياسة الاغتصاب التي هددت سلامة الممالك »
« الشرقية وجعلت من شعوب الشرق فريسة لجشع »
« الدول الاوربية الذي لا يشبع ؛ وعلى هذا فانها تمتنع »
« رسمياً عن الاشتراك في أي مشروع سياسي يراد به »
« اضعاف ايران أو التجاوز على حقوق سيادتها الوطنية ، »
« وتعلن بطلان جميع المعاهدات المضرة بايران المعقودة »
« بين حكومة العهد القيصري وأية حكومة اخرى . »

أما أفغانستان فقد كانت — كما رأينا — من البلدان التي أقرت الحكومة القيصرية سيطرة بريطانية على سياستها الخارجية وتجنبت التدخل في شؤونها وتأسيس الصلات الدبلوماسية معها لكيما تبقى انكلترة مطمئنة من سلامة حدود الهند الشمالية[1] . ولكن روسية السوفيتية ضربت بهذه السياسة الاستعمارية عرض الحائط فاعترفت باستقلال أفغانستان وعينت سفيراً يمثلها في كابل ووافقت على ان تؤسس حكومة الافغان قنصلية لها في طاشقند . وفي ٢٨ شباط سنة ١٩٢١ وقع على المعاهدة الروسية الافغانية في موسكو فاعترفت كل من الدولتين باستقلال الاخرى ووافقتا على تأسيس الصلات الدبلوماسية بينهما ؛ وأذنت الافغان لحكومة روسية بمقتضى هذه

(١) راجع ص ٢٨٤

المعاهدة ان تؤسس خمس قنصليات في بلادها وأذنت روسية لحكومة الافغان ان تؤسس لها سبع قنصليات فيها . واتفق الطرفان على ان يلتزما عدم الاشتراك مع أية دولة اخرى في معاهدة من شأنها ان تهدد سلامة احداهما . وجاء في المادة السابعة من المعاهدة المذكورة : ان الطرفين الساميين المتعاهدين متفقان بشأن تحرير الشعوب في الشرق على ان يكون مبدأ استقلال كل امة منوطاً برغبتها . وتعهدت الحكومة السوفيتية في هذه المعاهدة ان تسعف الحكومة الافغانية بجميع ما تحتاج اليه من المعونة الاقتصادية والفنية[1] .

ولكن مساعي روسية السوفيتية لم تقتصر على عقد المعاهدات مع هذه الدول الشرقية واسعافها فحسب بل تجاوزتها الى ما هو أبعد من ذلك فعملت على حملها على الارتباط فيما بينها بروابط التعاون المتبادل ضد الاستعمار . فارتبطت تركية وأفغانستان في ١ آذار سنة ١٩٢١ — أثناء وجود الوفد الافغاني في موسكو — بمعاهدة تعهد الطرفان فيها ان يساعد أحدهما الآخر في رد تجاوز للمستعمرين على مملكتيهما ، واتفقا على ان يؤسسا الصلات الدبلوماسية فيما بينهما فيعين كل منهما في عاصمة الآخر سفيراً يمثله ، وان ينشئا بينهما وسائل البريد السريع ، وان تجهز تركية حكومة الافغان بالمعلمين والضباط . وقد جاء في الفقرة الثانية من هذه المعاهدة : ان الطرفين المتعاهدين يقران مبدأ تحرير الشعوب الشرقية ويؤيدان حق تمتعها بالاستقلال المطلق وحكم نفسها بنفسها بالشكل الذي تختاره هذه الشعوب نفسها . وفي

---

(١) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East ص ٣٤٥

٢٦ حزيران سنة ١٩٢٢ عقدت تركية معاهدة من هذا القبيل مع الحكومة الايرانية [١] .

وكانت الحكومة السوفيتية تستهدف بمساعيها هذه تأسيس عصبة امم معارضة لعصبة الامم الرأسمالية ، وكانت الروابط التي ارتبطت بها مع تركية — والتي تعهد الطرفان بموجبها ان لا يعقدا أي اتفاق مع دولة اخرى من غير موافقة الطرف الآخر — ومع ايران وأفغانستان أول خطوة في سبيل تكوين هذه الجبهة [٢] . وبقيت سياسة روسية والدول الشرقية المجاورة لها سائرة في هذا الاتجاه حتى أواخر الحقبة الثانية من هذا القرن ، اذ جددت روسية

---

(١) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East ص ٣٤٥ و ٣٥٣ — ٣٥٤

(٢) Kruger ص ١٠٩ — ١١٠ ، وكان السوفيت قد اهتموا في قضية توحيد الجبهة الشرقية ضد الاستعمار الاوربي منذ أول عهدهم بالحكم فأسسوا في تشرين الاول سنة ١٩١٧ « عصبة تحرير شعوب الشرق » ؛ ومما ورد في منهاجها انها « ترمي الى جمع شتات المساعي المبذولة في سبيل الحياة الجديدة في الشرق المتيقظ لكيما تؤلف جبهة معارضة للاستعمار في مكمن الاستعمار بآسيا » . وجاء فيها : « ان الذين يتعهدون القيام بواجب السعي لتحقيق حق تقرير الشعوب مصيرها واقامة النظم الدستورية — وهو الامر الذي تجابهه ممالك الشرق الشاسعة — لا يمكن ان يكونوا من طبقة كبار الملاكين والامراء الذين لا نفع ينالهم في غالب الاحوال من القضاء على الاستعمار الغربي في الشرق ، ولا من صنف المفكرين المتوسطين الذين لا ينتسبون الى طبقة ؛ وانما طبقة العمال وحدها تستطيع ان تتعهد القيام بهذا الواجب . ان تداخل العناصر في الشرق يخفي خطر التهاب نيران المنازعات العنصرية من جديد بعد ان تطاير منها الشرر ؛ وقد يؤول الامر الى ظهور احساسات عنصرية شبيهة بالتي تضمر ممالك الدول الاوربية ، وقد بدت في تربة الشرق من قبل . فلأجل تجنب هذا الخطر يقتضي ان يقوم الاتحاد في الشرق على أساس المساواة التامة في الحقوق بين جميع شعوب آسيا وان يكون بشكل ائتلاف يبدأ بصورة تدريجية في الهند مثلا ومنها يتسع حتى يتحقق اتحاد الولايات الاسيوية . »

المعاهدات المنعقدة بينها وبين تركية (١٩٢٥) وايران وأفغانستان (١٩٢٥ — ١٩٢٨) — وجددت تركية في الوقت عينه المعاهدات المنعقدة بينها وبين ايران (١٩٢٦) وأفغانستان — لغرض تقوية الروابط فيما بينها وضمان التعاون الاقتصادي والسياسي والاجتماعي ضد الجبهة الاوربية التى تمثلها عصبة الامم[1] .

ولكن عوامل كثيرة حملت روسية على الخروج من عزلتها الشرقية والانغمار في ميدان السياسة العالمية ؛ ومن أهم تلك العوامل : ابداء الولايات المتحدة رغبتها في الاعتراف بها ، وتزايد خطر اليابان في الشرق الاقصى ، واشتداد خطر الرجعية والنازية في المانية . على انها احتفظت في سياستها الجديدة بالروابط التى تربطها بالدول الشرقية ولاسيما تركية ، فقد توحدت بمقتضى هذه الروابط سياسة الدولتين تجاه دول أوربا الغربية ودول البلقان . وكان من أهم ظواهر تعاون روسية السوفيتية مع تركية في سياستهما الخارجية زيارة عصمت باشا وتوفيق رشدي بك موسكو في أيار سنة ١٩٣٢ حيث استقبلا استقبالاً لم يسبق له مثيل في تاريخ السوفيت ؛ وكان بصحبتهما عدد كبير من رجال تركية الحديثة اوفدوا لدراسة الاساليب التربيوية والصناعية في روسية . وقد أشادت الصحف التركية في هذه المناسبة بفضل روسية السوفيتية على تركية في جهادها ضد الاستعمار والفوز الذي أحرزته في عهدها الجديد ، واشتركت كافة الدوائر السوفيتية والجرائد الروسية الرسمية

---

(١) Ten Years of Republic in Türkey, by Dr. A. Adnan, Political Science Quarterly, Vol. VI. No. 2. April-June, 1935

وصف الحزب الشيوعي في اظهار الود نحو الاتراك . والحكومة السوفيتية تقدر خطورة الدور الذي تستطيع تركية ان تقوم به في سياستها الخارجية الموحدة تجاه الدول الاوربية لما لموقعها الجغرافي من الاهمية الحربية والاقتصادية والنفرة التي تغلغلت في نفوس الاتراك من دول أوربا الاستعمارية . وكان توفيق رشدي بك قد نوه في مؤتمر نزع السلاح قبل زيارته موسكو ببضعة أسابيع باستعداد تركية الى الانضمام الى عصبة الامم اذا وجهت اليها دعوة في ذلك ، فكانت هذه أول بوادر السياسة الروسية التركية الجديدة . وفي ١٨ تموز سنة ١٩٣٢ انضمت الحكومة التركية الى عصبة الامم وكانت قد صرحت قبيل ذلك بعزمها على ان تجعل من دخولها في حضيرة عصبة الامم وسيلة لخدمة مصالحها المشتركة مع روسية وان تسعى في توسيع مجال السياسة السوفيتية في العصبة ، فكان هذا التصريح بمثابة اعلان للخطة السياسية المشتركة التي أقرتها الدولتان والتي أدت الى انضمام روسية الى العصبة فيما بعد[1] .

وكان من جملة ما يقلق هاتين الدولتين تكتل دول البلقان وأوربا الوسطى ضدهما بزعامة ايطالية وفرنسة . غيرانهما استطاعتا بسياستهما الخارجية الجديدة ان تتعاونا على تبديد هذا الخطر بدخول تركية في المفاوضة مع دول البلقان وايطالية . وقد تم الفوز لتركية في البلقان فعقد مؤتمر البلقان جلسته السنوية الثانية في استانبول في ٢٠ تشرين الاول سنة ١٩٣١ في قصر رئيس الجمهورية وحضره مثلا ممثل عن ست دول من دول البلقان . وكان عصمت

(١) Current History, June, and September, 1932

باشا وتوفيق رشدي بك قد مهدا السبيل لهذا الاجتماع أثناء جولتهما في أوربا قبيل ذلك . وزار المسيو لتفينوف — وكيل الشعب للشؤون الخارجية السوفيتية — أنقرة واستانبول في هذه الاثناء أيضاً . واعترفت تركية بحكومة ألبانية في ٢٦ منه ؛ وكان من أهم نتائج هذا المؤتمر تأليف غرفة تجارة عامة لممالك البلقان جعل مقرها في استانبول ومكتب لتجارة التمباك جعل مقره في سلانيك ؛ وهكذا عادت تركية مرة اخرى الى تسنم منصب الرئاسة بين شعوب البلقان[١] .

وشرعت تركية تحكم سلسلة للمعاهدات التي ارتبطت بموجبها بدول أوربا الشرقية حتى تحقق لها الفوز بعقد الميثاق البلقاني فى أثينة في ٩ شباط سنة ١٩٣٤ ؛ وقد تعهدت فيه كل من تركية واليونان ويوغوسلافية ورومانية ان تتعاون على صيانة حدودها وان تتبادل الشورى في جميع القضايا التي لها مساس بمصالحها المشتركة[٢] .

وحملت روسية السوفيتية تركية على التقرب من ايطالية والتفاهم معها ثم شرعت هي بعقد المعاهدات مع الدول الاوربية المتاخمة لها فامضيت المعاهدة بينها وبين رومانية في ٣ تموز سنة ١٩٣٣ في لندن ، ووقع المسيو لتفينوف في عين هذا التاريخ على ميثاق تحديد التجاوز مع ايران وأفغانستان وتركية وبولندة ورومانية ولتفية واستونية ، وقد وقعت عليه لتوانية في ٥ تموز وأعقبتها فنلندة . وبدأ التقارب بين روسية وفرنسة بعد ان مهدت تركية

---

(١) Current History, December, 1931

(٢) Ten Years of Republic Turkey, Political Science Quarterly April-June, 1935, and Current History, April, 1934

الطريق لذلك ؛ فزار لتفينوف باريس في ٦ تموز فجرت المحادثات بينه وبين ديلاديه ، رئيس الوزارة ، وبول بونكور ، وزير الخارجية ؛ وأعلن في ١١ تموز على أثر المحادثات التي جرت بين موسوليني وبوتمكن سفير روسية في روما ان الدولتين قد شرعتا في وضع لائحة معاهدة شبيهة بالمعاهدات التي عقدتها روسية مع دول البلقان[١] ؛ وفي نيسان سنة ١٩٣٤ نجحت روسية في حمل استونية ولتوانية ولاتفية على الارتباط معها بمعاهدات عدم التعدي اسوة بالدول الاخرى في أوربا الشرقية[٢] .

وكان لقيام النازي في المانية ، وما عقب ذلك من التبدل في سياسة المانية الخارجية تجاه الدول المجاورة لها ولاسيما تجاه روسية السوفيتية وفرنسة ، أكبر أثر في زيادة نشاط دول أوربا في التسلح وفي التفاهم لتأليف جبهات الدفاع . وقد فسح هذا التبدل المجال لروسية ان تدخل حضيرة عصبة الامم وان تقوم — وتركية تساندها — بدور خطير في السياسة العالمية فتمهد السبيل لتكوين جبهة من فرنسة وايطالية ودول أوربا الوسطى والبلقان وتركية وروسية ضد الجبهة الانكليزية — الالمانية التي هي في دور التكوين الآن . والذي يهمنا من استعراض جريان السياسة الاوربية في هذا الصدد هو بيان المكانة التي أحرزتها تركية بفضل تعاونها مع روسية السوفيتية في السياسة الدولية لما لذلك من علاقة وثيقة بمجرى السياسة الاستعمارية في الشرق الادنى لاسيما ما يتعلق بالاستعمار البريطاني ؛ وما له من تأثير على ايران وأفغانستان ؛

---

(١) Current History, September 1933

(٢) Current History, June, 1934

فان توثق العلاقات بين تركية وروسية سيؤدي حتماً الى توثق العلاقات بين السوفيت وحكومتي ايران وأفغانستان . وقد بدت نتائج تعزز موقف تركية الدولي في الشرق الاوسط بزيارة رضا شاه بهلوي لها والتقارب الذي حدث بين الدولتين على أثر هذه الزيارة .

على ان تأثير روسية السوفيتية على دول الشرق الادنى والاوسط لم يقتصر على الناحية السياسية وحدها بل قد تجاوزها الى الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية . فظهرت نتائج هذا التأثير بأجلى مظاهرها باقرار حزب الشعب مبدأ سيطرة الدولة على وسائل الانتاج والتوزيع والمشاريع العامة ، وسير تركية التدريجي نحو الاشتراكية[1] . وكانت الحكومة التركية من أول عهدها بالحكم قد اتبعت سياسة الاحتكار فاحتكرت التبغ والكحول والملح والسكر وعيدان الكبريت والمفرقعات وغيرها من المواد المهمة وكذلك احتكرت السكك الحديدية والمناجم وسيطرت على وسائل المواصلات البحرية بان امتلكت ما يزيد على خمسين في المائة من أسهم الشركات القائمة بها[2] .

والثورة الروسية لم تقتصر في تأثيرها على تركية في حملها على انتهاج هذا المنهاج وانما أمدتها بالمعونة في تطبيقه . وقد كان لزيارة عصمت باشا وتوفيق رشدي بك موسكو في مايس سنة ١٩٣٢ علاقة كبرى بهذه السياسة الاقتصادية ؛ فقد كان من جملة ما توصل اليه الطرفان في مفاوضاتهما

---

(١) وقد أقر حزب الشعب مبدأ سيطرة الدولة على الشؤون الاقتصادية في مايس سنة ١٩٣١ (Ten Years of Republic in Turkey, The Political Quarterly, April June, 1935)

(٢) Current History, February, 1934

ان تعهدت روسية بأن تبيع تركية الآلات التي تحتاج اليها في مناهجها الصناعي على ان تسدد قيمتها بأقساط تدفع بالمواد الخام بدلاً من النقود في خلال عشرين سنة . وشرعت الحكومة التركية عقيب عودة عصمت باشا من روسية تستعد أيضاً للسيطرة على التجارة الخارجية لتتمكن من تسديد قيمة الآلات وموازنة صادرات المملكة وواردتها ومبادلة المنتوجات الاجنبية المصدرة الى بلادها فاحتكرت استيراد السكر والقهوة وعهدت الى البانق التركي بكل ما يتعلق بمبادلة البضائع والمنتوجات مع الممالك الاخرى[1] .

وقد صرح عصمت باشا بأن الحكومة التركية عازمة — في سياستها الاقتصادية — على ان تطبق قاعدة « رأسمالية الدولة » ؛ وقال ان الحكومة التركية تسعى الآن للاستيلاء على جميع الصناعات والقضاء على المشاريع الفردية . والمفهوم ان سيطرة الدولة ستتناول الصناعات ووسائط المواصلات والمناجم والمصارف والاعمال التجارية الكبرى ؛ ولم يتبين حتى الآن ما يشير الى أنها تريد ان تمد يدها الى أعمال صغار الفلاحين الذين يزرعون أرضهم بأنفسهم وصغار التجار وأرباب الحرف . وعلى أثر هذا التصريح وتأييده من قبل الغازي مصطفى كمال باشا في خطابه الذي ألقاه في أنقرة في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٣٣ أعلنت الحكومة التركية مشروع السنوات الخمس في ٩ كانون الاول سنة ١٩٣٤ . وقد خصص لهذا المشروع ٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠ ليرة تركية تصرف في خلال خمس سنوات ؛ ووضعت

(١) Current History, July 1932

الحكومة السوفيتية اعتماداً بمبلغ ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار لتمكن الحكومة التركية ان تشتري منها ما تحتاج اليه من الآلات لانشاء خمسة عشر معملاً لصنع النسيج والزجاج والورق و « السليولوز » والمواد الكيماوية وغيرها (١).

وقد ظهر أثر الثورة السوفيتية فى سياسة الحكومة التركية تجاه الفلاح (فقد رفعت الحكومة التركية عن الفلاح بعض الضرائب التي أثقلت كاهله واستعاضت عنها بزيادة الضرائب على المثرين من سكان المدن) وفى الغائها امتيازات الطبقة العليا وسعيها لتقليل الفروق الاقتصادية والاجتماعية بين الطبقات وتأسيسها « بيوت الشعب » فى كافة المدن والقرى والارياف لتثقيف السواد الاعظم ، وفى منع المضاربات المالية وقبول مبدأ دكتاتورية الحزب الواحد والتفسير الاشتراكي لمعنى « الحرية »(٢) . والخلاصة فان تركية فى سياستها الاقتصادية والاجتماعية تقتفي أثر الحكومة السوفيتية وتحذو حذوها (٣) .

وظهر أثر روسية السوفيتية أيضاً فى أفغانستان على عهد أمان الله ،

---

(١) Current History, February and March, 1934

(٢) قد يتبادر للذهن ان النظام الذي تتبعه تركية شبيه بالنظام الفاشستي ولكنه في الحقيقة شبيه بالنظام السوفيتي لأن الفاشيست معارضون للديمقراطية من حيث الأساس وقد قبلوا الدكتاتورية كمبدأ من مبادئهم الاساسية بينما السوفيت يسعون لتحقيق الديمقراطية الصحيحة وقد اتخذوا الدكتاتورية كوسيلة من وسائل تحقيق حكم الشعب وهو عين ما تستهدفه تركية فى سياستها الحاضرة

(٣) يسمي الدكتور عدنان النظام الذي تقوم عليه الحكومة التركية بالنظام الشعبي (Popvlism) Ten Years of Republic in Turkey, Political Science Quarterly, April-June, 1935

حيث حاول السوفيت ان يحدثوا فيها ثورة صناعية شبيهة بالتي حدثت فى تركية[١] . وقد انتقل أثرها من تركية الى ايران ولاسيما بعد زيارة الشاه الاخيرة الى تركية وظهور بوادر عزمه على الحذو حذوها كما يبدو من ادخاله الاصلاحات الاجتماعية ومكافحة رجال الدين والاقطاع ؛ وقد اتبعت الحكومة الايرانية قاعدة احتكار التجارة الخارجية كما فعلت تركية[٢] . ومع ان ايران لم تشرع حتى الآن بوضع اسس الثورة الصناعية فان ظواهر الحال تدل على انها ستتبع عين الخطط التي سارت عليها تركية فى هذا الصدد .

ان الروابط التي ارتبطت بها روسية السوفيتية بتركية وايران وأفغانستان ، وحمل روسية الحكومة التركية على تسنم موقع الزعامة بين دول الشرق الاوسط ، وتأييدها فى سعيها هذا بمختلف الوسائل ، وتعاون الدولتين فى سياستهما الاوربية وفى عصبة الامم وتوحيدهما موقفهما تجاه المشاكل والقضايا الدولية ، والتطور الاقتصادي والاجتماعي الذي أخذت دلائله تتجلى يوماً بعد يوم فى تركية وايران ، كل ذلك يشير الى ان هذه الدول سائرة نحو تكوين جبهة موحدة ضد الدول الرأسمالية الغربية ولاسيما بريطانية وانها ستسلك مسلكاً واحداً فيما يتوقع حدوثه فى المستقبل القريب .

---

(١) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East

(٢) وقد أقر المجلس الايراني سياسة احتكار التجارة الخارجية في ١٤ آذار سنة ١٩٣١ (Kruger ص ٢٤٦ — ٢٤٧ ص ١٨٦)

الفصل الثاني عشر

العراق مقر المقاومة البريطانية في الشرق الاوسط والادنى

ان الاستعمار الجرمني الذي وجه أنظاره نحو الشرق الادنى في أوائل القرن العشرين حمل بريطانية على تسوية الاختلافات بينها وبين فرنسة ، — وكانت تنازعها النفوذ في مصر — وساقها كذلك الى التفاهم مع روسية القيصرية — وكانت تزاحمها في السيطرة على الشرق الاوسط ومنطقة البحر الاسود واستانبول — وذلك لتتصرف الى مقاومة المانية التي أخذت بمساعيها للاستحواذ على بلاد الانضول والعراق تهدد طريق الهند والمصالح الامبراطورية في الشرق[1] . وقد وحدت هذه الدول الثلاث سياستها الشرقية لصد هذا الخطر المداهم الذي أفسد عليها تدابيرها الاستعمارية لاقتسام أملاك الدولة العثمانية . وكانت هذه الدول تريد بسياستها ان تبقى الدولة العثمانية ضعيفة منشغلة بمشاكلها الداخلية عن اصلاح شؤونها وتقويم أحوالها ، بينما كانت المانية تسعى — على العكس من ذلك — لانعاشها لتجعلها صالحة للاستخدام في تنفيذ خطة الاستعمار الجرمني ولكي يتسع مجال الانتفاع أمام الرأسمالية الجرمنية لاستثمار خيرات البلاد العثمانية الغنية[2] .

واتبعت كل من الجهتين في هذا النزاع الاستعماري أساليب متعاكسة ، فبينما كانت انكلترة وفرنسة وروسية تبث بذور الشقاق بين رعايا الدولة

---

(١) راجع ص ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٠

(٢) راجع ص ١٤٧ — ١٤٨

العثمانية وتهييج فيهم الاحساسات العنصرية كانت المانية تؤيد السلطان في سعيه لتوحيد كلمة المسلمين ضد أوربا المسيحية [١] . وكانت بريطانية وفرنسة وروسية تخشى ان يؤدي انتشار فكرة الوحدة الاسلامية الى قيام الشعوب المسلمة المحكومة من قبلها في تركستان وقفقازية والهند ومصر والمستعمرات الفرنسية في شمال أفريقية ضد الاستعمار ، فكان هذا الخوف من أقوى العوامل التي حملتها على تعجيل المعركة الفاصلة بينها وبين المانية خشية ان يتسع الخرق . وكانت انكلترة وفرنسة قد استبشرتا بالانقلاب العثماني في سنة ١٩٠٨ اعتقاداً منهما ان سقوط عبدالحميد سيزيل خطر الدعوة الاسلامية ، ولكن الاتحاديين بركونهم — تحت تأثير النفوذ الجرمني — الى استخدام هذه الدعوة لتقوية موقفهم تجاه أوربا ساقوا انكلترة وفرنسة الى تجديد مساعيهما لاثارة الاحساسات العنصرية بين رعايا الدولة لمقاومة خطر الدعوة الاسلامية . انصرفت روسية القيصرية الى اثارة شعوب البلقان والارمن ، أما فرنسة وانكلترة فقد انصرفتا الى تنمية الاحساسات العنصرية في البلدان العربية فشجعت فرنسة الدعوة الى اللامركزية في سورية وأخذت انكلترة على عاتقها تشجيع الدعوة الى الوحدة العربية وتكوين جبهة متمردة على الدولة العثمانية في بلاد العرب وسواحل الخليج الفارسي وفي العراق والحجاز .

وكانت الظروف مهيئة لتنمية الاحساسات العنصرية في سورية بصورة خاصة ، فان الشبان اللبنانيين المارونيين الذين أكملوا دراستهم في فرنسة كانوا ينفرون بحكم وضعهم الاجتماعي في البلاد العثمانية من الدعوة الى الوحدة

---

(١) راجع ص ١٠٥ — ١٠٦

الاسلامية و يفضلون الدعوة العنصرية التي ترمي الى فصل لبنان وسورية عن جسم الدولة و بذلك يتسع أمامهم المجال للظهور فيصبحون زعماء البلاد بدلاً من ان ينبذوا فى وحدة اسلامية لا يكون لهم فيها شأن . وكان الاتحاديون بعد أن غمرتهم الطورانية وساقتهم الى اتباع سياسة التتريك السقيمة والى النفرة من الشعوب العثمانية غير التركية قد هيأوا للانكليز والفرنسيين سلاحاً قاطعاً استطاعوا به ان يزعزعوا أركان الدولة العثمانية باثارة الفتن والنعرات العنصرية فى جميع أطرافها . وكان المارونيون المتصلون بفرنسة والدروز المتصلون بانكلترة أقوى اداة استعملتها الدولتان لهذا الغرض[1] . على ان

---

(١) والغريب ان فرنسة وانكلترة بعد أن عملتا على إثارة النعرات الدينية بين المارونيين والدروز وأوقعتا بين الطرفين معارك دامية ومذابح كانت أهول ما شهدته جبال لبنان انصرفتا بعد حين الى حمل أبناء ضحايا تلك المذابح على ان ينسوا ما أصابهم من الرزايا ويسعوا لتكوين وطن قومي لهم على أساس اللامركزية ؛ وأغرب من ذلك ان ينجح الاستعمار الفرنسي في سوق المارونيين الى رفع لواء القحطانية وهم أبعد شعوب الشرق الادنى عنها . وقد يعجب القارئ اذ يرى بين دعاة اللامركزية والوحدة العربية في سورية اناساً مثل يوسف الدبس المطران الماروني وغيره من رجال الكنيسة المارونية الذين كانوا ولا يزالون من أكبر دعائم الاستعمار الفرنسي فى سورية

وقد كان تأييد الفرنسيين والانكليز الدعوة العنصرية ظاهراً ؛ فقد حمى الفرنسيون كثيراً من دعاتها الذين كانوا قد اتخذوا باريس مركزاً لهم ؛ وساعد الانكليز كثيرين منهم على الاستقرار فى القاهرة فى وقت أجبروا فيه الحكومة المصرية على ابعاد الشيخ جمال الدين الافغاني منها . وأصبحت القاهرة مقر الدعاية ضد الدولة العثمانية حيث كان اللبنانيون قد سيطروا على الصحافة فيها يساندهم الانكليز ، وأسس نجيب عزوري محفلا ماسونياً فيها ، وساعد ابراهيم نجار — أحد اللبنانيين — الضباط العرب على تأسيس ناد لدعوة العرب الى الثورة . وكانت القاهرة مقر اللجنة اللامركزية التي أسس لها خمسة وسبعون فرعاً فى فلسطين وسورية . وكان نادي الاصلاح الذي اتخذ بيروت مقراً له يبث الدعوة فى سورية حتى اضطرت الحكومة العثمانية الى حله فى نيسان سنة ١٩١٣ . وفى ١٨ حزيران سنة ١٩١٣ انعقد أول مؤتمر لدعاة اللامركزية فى باريس بزعامة شكري غانم

موقف انكلترة من الدعوة العنصرية كان أكثر حزماً واتقاناً . وكانت بريطانية منذ أن حاول نابليون مهاجمة الهند عن طريق البحر الاحمر والخليج الفارسي ، قد أدركت أهمية البلاد العربية في حماية امبراطوريتها الهندية وقررت أن تبسط نفوذها على هذه البلاد لتحول دون تعرض طريق الهند الى الخطر ، لاسيما بعد افتتاح قناة السويس . فلما أخذ الاستعمار الجرمني يمتد في البلاد العثمانية نحو الهند ويشجع الدعوة الى الوحدة الاسلامية التي كان تأثيرها على المسلمين الهنود يشتد يوماً بعد يوم ، رأت بريطانية ان السبيل الوحيد لصيانة مصالحها الاستعمارية في الهند وفي الشرق بصورة عامة هو أن تسيطر على البلاد العربية لتجعل منها حائلاً دون تسرب الدعايات المضرة بها الى جنوب آسيا . وكان الانكليز يعتقدون انهم يستطيعون ان يضبطوا الطريق الى الهند بجعل البلاد العربية — الممتدة بين البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر من الغرب والخليج الفارسي من الشرق والتي يسيطر على سواحلها الاسطول البريطاني الرابض في قبرص ومالطة وعدن ومياه الخليج الفارسي — تحت سيطرتهم .

وكانت بريطانية قبيل القرن العشرين قد وطدت نفوذها في الكويت والمحمرة وسواحل الخليج العربية وراحت تتطلع الى حليف يؤيد نفوذها في نجد وأطراف الصحراء العربية فرأت في عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل السعود خير من يستطيع القيام بهذه المهمة ، وكان قد التجأ هو وأبوه الى

واخوان المطران الماروني وكانوا جميعاً من مظاهري فرنسة . وأسس اللبنانيون في المهجر جريدة الهدى لتأييد حركة اللامركزية في سورية

الكويت بعد استيلاء ابن الرشيد على الرياض فاتصل بالانكليز فيها ودرس قواعد التعامل معهم على مبارك الصباح شيخ الكويت الذي اختاره الانكليز ونصبوه أميراً على الكويت[١] ؛ فبقي يخدم مصالحهم حتى توفي في تشرين الثاني سنة ١٩١٥ . وكان ابن السعود قد فاجأ الرياض فانتزعها من ابن الرشيد في سنة ١٩٠١ وأخذ يستعيد أملاك عائلته ويجدد عهد سيادتها في نجد مستعيناً على ذلك بالدعوة الوهابية وحركة « الاخوان » وبما أمده به الانكليز من مال وعتاد[٢] . وقد توثقت الصلات بين الانكليز وابن السعود بعد ان احتل الاحساء في سنة ١٩١٣[٣] ، وتوسط الانكليز له في مفاوضاتهم مع الدولة العثمانية قبيل الحرب العامة وحملوها على الاعتراف به والياً على نجد وجعل الاحساء جزءاً منها[٤] وساعدوه كذلك في نزاعه مع ابن الرشيد . وأوفدت الحكومة الانكليزية الكابتن شكسبير الى ابن السعود في أوائل سنة ١٩١٣ ليحمله على مقاومة فكرة الوحدة الاسلامية ؛ وبقي الكابتن شكسبير بصحبة ابن السعود في أثناء الحرب التي دارت بينه وبين ابن الرشيد حتى قتل في احدى المعارك[٥] .

---

(١) راجع ص ١٨

(٢) Wilson, Loyalties, Mesopotamia, 1914–1917 ص ١٦٠

(٣) Nationalism and Imperialism in The Hither East, by Hans Kohn ص ٢٤٠

(٤) راجع ص ١٤

(٥) Wilson, Loyalties, Mesopotamia, 1914–1917 ص ٣٠ — ٣١ ؛ Letters of Gertrude Bell ص ٥٠٩ . وقد ذكر ابن السعود في كتابه الى الحكومة الانكليزية على أثر مقتل الكابتن شكسبير انه ألح على هذا « الكابتن » ان يبتعد عن منطقة الخطر غير ان « الكابتن » أصر على مرافقته قائلا « ان الاوامر الصادرة إلي تقضي علي أن أبقى بمعيتك »

استعان الانكليز أيضاً بالسر خزعل شيخ المحمرة وملحقاتها ؛ فاستخدموه في بث الدعاية لهم بين شيوخ جنوب العراق وتمهيد السبيل لاتصالهم بالقبائل العربية وبعض الشخصيات البارزة في البصرة ؛ وقد كان هذا الشيخ من أكثر سماسرة الاستعمار نشاطاً قبيل الحرب العامة وفي أثنائها ؛ وهو الذي حمل السيد طالب باشا صديقه الحميم وشريكه في المغامرات التي كان يقوم بها في شط العرب على الاتصال بالانكليز وتزعم الحركة العربية في العراق . وكان السيد طالب قد تقرب الى الاتحاديين في بدء حركتهم وساعدهم في القبض على سعدون باشا سنة ١٩١١ مؤملاً أن يساعدوه في تحقيق مطامحه بتأسيس ولاية عربية في جنوب العراق يكون هو أميراً عليها ؛ فلما يئس من ذلك انقلب عليهم وأخذ يجمع حوله الاتباع في البصرة و بغداد تحت عنوان العمل على تحقيق القضية العربية . واتصل بالانكليز بواسطة الشيخ خزعل وكان يمد دعاة القضية العربية في بغـــداد بالاموال والتف حوله الضباط المطاردون من قبل السلطات العثمانية . وكان نوري السعيد (نوري باشا السعيد) من جملة الضباط المشتغلين بالقضية العربية الذين التجأوا الى السيد طالب واشتغلوا معه وأيدوا فـكرة الاستعانة بالانكليز والاتصال بهم[1] .

وقد اتصل دعاة اللامركزية في سورية بالشريف حسين وحملوه على الاتصال بالانكليز فأوفد عام ١٩١٣ وفداً الى اللورد كتشنر في مصر يطلب اليه المعونة . وكان الشريف ينزع أول الامر الى الاستقلال في الحجاز فلما

---

(١) Wilson, Loyalties, Mesopotamia, 1914-1917 ص ٢١٨ ؛ Wilson, Mesopotamia 1917-1920 ص ٢٦٦

أتمت الحكومة العثمانية انشاء سكة حديد الحجاز خشى أن يقوى نفوذ السلطان فيحول دون تحقق ما كان يطمح اليه فأخذ يتطلع الى المعونة الاجنبية (١).

وقد اشتد الصراع بين فكرة الوحدة الاسلامية — ومن ورائها الدولة العثمانية والمانية — والفكرة العربية — ومن ورائها انكلترة وفرنسة — قبيل الحرب العامة وفي خلالها لما أعلنت الحكومة العثمانية الجهاد ضد الانكليز والفرنسيين والروس في الشرق وأوفدت المبشرين يدعون المسلمين في جوامع سورية والعراق الى القيام بواجبهم المقدس ضد الكفار ، وأرسلت الدعاة الى قبائل العراق والاهواز ونجد والحجاز والى المسلمين في الهند وأفغانستان يدعونهم الى الجهاد (٢).

وقد نشط الانكليز لدفع هذا الخطر بتشجيع الدعوة الى الوحدة العربية وتقوية صلاتهم بامراء العرب في الحجاز ونجد والخليج وفي الكويت والمحمرة وجنوب العراق فجددوا صلاتهم بالشريف حسين ؛ وأوفدوا الكابتن شكسبير الى نجد لملازمة ابن السعود (٣) وكانوا — قد وثقوا صلاتهم به —

---

(١) Hans Kohn, Nationalism in The East ص ٢٧٨

(٢) Wilson, Loyalties, Mesopotamia, 1914-1917 ص ٤ ، ٦ ، ٢٢ — ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٨

(٣) راجع ص ٣١٤ . وقد كان من دواعي غبطة الانكليز ان دعوة الجهاد لم تلق اذناً صاغية من قبل المسلمين في نجد وانما استبشروا باحتلال الانكليز البصرة والقرنة وكان ابن السعود محافظاً على ولائه التام لبريطانية . (كتاب الكابتن شكسبير في ١٤ كانون الثاني سنة ١٩١٥ المنوه عنه في كتاب Wilson, Loyaltice Mesopotamia ص ٣٠)

و بشيوخ الخليج و بعض مشايخ جنوب العراق استعداداً للطوارئ . وعاد دعاة القضية العربية في جنوب العراق الى نشاطهم على الاثر فأخذ السيد طالب يروج في خريف سنة ١٩١٤ فكرة عقد مؤتمر يحضره امراء وشيوخ نجد وجبل شمر والكويت والمحمرة وقبائل المنتفك[١] . و بديهي ان الامر كان مدبراً من قبل الانكليز لتوحيد جبهة العرب ضد الاتراك استعداداً للحرب . فلما أعلمت الدولة العثمانية ابن السعود بلزوم الاستعداد لمساعدتها ضد الانكليز في حالة نشوب الحرب بينهما في برقية أرسلها أنور باشا اليه أرسل ابن السعود صورة البرقية الى القسم البريطاني في الخليج اظهاراً لصدق عزيمته على ملازمة بريطانية[٢] ؛ ولما خابر والي البصرة شيخ المحمرة يطلب اليه أن يسمح لقوة من الجيش التركي ان تكمن في المحمرة لتستطيع ان توقع بالمدرعات البريطانية التي كانت تتردد عليها ، رفض الشيخ تأدية هذه الخدمة وأعلم الحكومة البريطانية بما اعتزمته الحكومة العثمانية[٣] . وقد أدى شيخ المحمرة وشيخ الكويت خدمات هامة الى الحكومة البريطانية في هذه الظروف العصيبة بتمهيدها السبيل لاتصالها بشيوخ العرب المحيطين بالبصرة وبث الدعاية لها بين القبائل[٤] .

---

(١) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East ص ٢٧٨

(٢) راجع ص ١٨٣ (الحاشية)

(٣) Wilson, Loyalties, Mesopotamia, 1914-1917 ص ٧ — ٨

(٤) وممن يذكر الانكليز خدماتهم أبان الاحتلال وفي أعقابه الشيخ ابراهيم (شيخ الزبير) والشيخ اكبيشي (شيخ القرنة) والحاج عذار (شيخ الهارثة) الذي كان الشيخ خزعل واسطة التعارف بينه وبين السلطة الانكليزية . وكانت حكومة الهند قد

وكان من جملة أغراض الحملة التي ساقتها الحكومة الانكليزية لاحتلال عبادان ان تتصل بالقبائل العربية وتضمن مساعدتها ضد العثمانيين وقد عهد بهذه المهمة الى السر برسي كوكس الذي رافق الحملة ، وكان قد أشغل منصب المقيم البريطاني في الخليج بين سنتي ١٩٠٤ و١٩١٣ وهي المدة التي وثقت فيها بريطانية صلاتها بابن السعود وأمير الكويت وشيخ المحمرة وبعض شيوخ جنوب العراق ولذلك فقد كان خير من يستطيع القيام بمقاومة الدعوة الاسلامية وحمل العرب على الوقوف بجانب بريطانيه[١] . وقد بذل السر برسي كوكس قصارى جهده للقيام بهذه المهمة فأصدر بياناً الى القبائل العربية على أثر نشوب الحرب بين الدولة العثمانيـــة وبريطانية يطمئنهم فيه على أموالهم ومعتقداتهم ويطلب اليهم المحافظة على الحياد وعدم القيام بما من شأنه أن يضر بالمصالح البريطانية ؛ ثم أصدر بياناً آخر الى المسلمين بصورة عامة بشأن صيانة الاماكن المقدسة في منطقة الحرب . ولما نزلت الحملة البريطانية الى الفاو أصدر السر برسي كوكس بياناً ثالثاً أشار فيه الى أن بريطانية قد أعلنت الحرب على الاتراك وحدهم وانها لاتضمر للعرب غير الخير[٢] . ولم تقصد بريطانية بهذه البيانات في الحقيقة غير الفت في عضد الوحدة الاسلامية واثارة نفرة

بلغت شيخي الكويت والمحمرة قبيل اعلان الحرب العامة بواسطة المقيم البريطاني في الخليج بأنها مستعدة لأن تعدهم باعفاء بساتين التمور التي يمتلكونها على ضفتي شط العرب من الضرائب اذا قاموا بث الدعاية للحملة البريطانية بين القبائل (Wilson, Loyalties, Mesopotamia, 1914-1917 ص ٩ ، ٢٠)

(١) Wlison, Loyalties, Mesopotamia, 1914-1917 ص ٨

(٢) The Letters of Gertrude Bell ص ٢٠٧

العرب من الدولة العثمانية .

* * *

ان الحرب العامة التي أظهرت لبريطانية أهمية البلاد العربية في حالة الحرب ؛ وضرورة السيطرة عليها لصيانة الامبراطورية البريطانية في الشرق أتمت أدوار التقارب بين الانكليز وامراء العرب وأزالت ما كان عالقاً في أذهان الاتراك من امكان استخدام الدعوة الاسلامية في رد غائلة الاستعمار الاوربي . فقد استطاع الانكليز أن يحملوا مسلمي الهند على محاربة الدولة العثمانية وأن يشلوا حركة الجهاد التي علق عليها العثمانيون والالمان الآمال[1] ؛ وأينعت بذور النفرة — التي غرسها الاستعمار الانكليزي — بين العرب والاتراك بعد أن ورط أمراء العرب ورجالهم على اغتنام الحرب العامة فرصة للايقاع بالدولة العثمانية والتزام جانب أعدائها ؛ فلم يبق بعد هذا سبيل للتفاهم بين الطرفين فاضطر امراء العرب أن يلقوا بأنفسهم في أحضان الاستعمار البريطاني ويستسلموا له .

كان رجال الاستعمار البريطاني المشتغلون في شؤون الشرق الادنى

---

(١) كان من أهم نتائج دعوة الجهاد التي دبرتها الحكومة العثمانية ان تجمع عدد كبير من القبائل العربية والكردية في الشعيبة لمقابلة الجيوش الانكليزية ومساعدة الجيوش العثمانية في صد الاعداء ، ولكن القبائل كانت من جملة أسباب فشل الجيش العثماني في هذه المعركة بدلا من أن تكون مبعث قوة بها ؛ فقد تراجعت من دون أن تشترك بالقتال بصورة فعلية وكان مما نجم عن ذلك من الارتباك من جملة ما حمل سليمان العسكري قائد الحملة على الانتحار . وقد فتكت القبائل بالجيوش العثمانية أثناء تراجعها في هور الحمار وسلبتها فكان لذلك تأثير عميق في نفوس الاتراك الذين لم يعودوا بعد معركة الشعيبة الى دعوة القبائل لمساعدتهم ، وزالت من أذهانهم فكرة الجهاد بعد هذه التجربة القاسية

منقسمين في رأيهم بصلات بريطانية بالبلاد العربية الى فريقين : فريق يعتقد ان مصلحة بريطانية تستلزم سيطرتها على القسم الجنوبي من البلاد العربية والقبض على عدن والخليج الفارسي والعراق الاسفل (ولايتي بغداد والبصرة) ؛ وفريق رأى أن تسيطر بريطانية على مصر وتجعل من البحر الاحمر بحيرة انكليزية وأن تستولي على سورية وبذلك تصون طريق الهند من الخطر وتستحوذ على المدن المقدسة (مكة والمدينة وبيت المقدس) التي كانت من أقوى روابط المسلمين بالدولة العثمانية وبهذا تفت في عضد الاتراك في تأليف الوحدة الاسلامية . وكان يمثل الفريق الاول رجال حكومة الهند الذين كانوا قد أحرزوا الفوز في توثيق صلات الاستعمار البريطاني بامراء الجزيرة وبسط نفوذ بريطانية في الخليج الفارسي ؛ وكان هؤلاء يرشحون ابن السعود لزعامة العرب . أما الفريق الثاني فكان يضم موظفي الحكومة البريطانية في مكتب شؤون البلاد العربية في القاهرة[1] . وكان الفريقان في جدال مستمر ومنافسة شديدة . وقد رجحت كفة الفريق الاول في أول سني الحرب لما أحرزه من الفوز في تقوية الصلات بابن السعود[2]

---

(١) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East ص ٢٧٩ — ٢٨٠ ؛ The Arabs Place in The Sun, by Richard Coke ص ٢٢١ . وقد أسس هذا المكتب في أوائل الحرب العامة في القاهرة لتدوير شؤون القضية العربية وجمع المعلومات عن أحوال الشرق الادنى ؛ وكان مؤلفاً من عدد من الخبراء برئاسة الدكتور هوكارث المستشرق الانكليزي

(٢) وكانت صلات الانكليز بابن السعود قد توثقت في أوائل الحرب العامة فذهب السر برسي كوكس لمقابلته في العقير والمفاوضة معه لعقد معاهدة تكون أساساً لصلات بريطانية به ودعاه الى اجتماع عقد في الكويت وحضره أمير الكويت والمحمرة وفريق من مشايخ العرب المؤيدين لبريطانية ثم دعاه أيضاً لزيارة البصرة . وقد تم عقد المعاهدة

و بسط النفوذ البريطاني فى سواحل الخليج واحتلال ولاية البصرة ؛ ولكن الخيبة التي لاقتها حملة العراق فى الكوت وانخذال الانكليز في واقعة غاليبولي رجحا كفة فريق القاهرة الذي كان يدعو الى استيلاء بريطانية على جميع الاراضي المحدقة بالبحر الاحمر والى نزع الخلافة من الاتراك وتوليتها رجلاً عربياً يكون موالياً لانكلترة ليتسنى لها توجيه الرأي العام الاسلامي كما تشاء وتجزئة أملاك الدولة العثمانية من غير أن يثير عملها عطف المسلمين[1] . ومما ساعد على رجحان كفة هذا الفريق أيضاً عجز ابن السعود عن اسعاف الحملة الانكليزية في العراق ، وتقلص نفوذه في الجزيرة بعد أن اندحرت الحملة التي ساقها على الشيخ نوري الشعلان في الجوف سنة ١٩١٤ ، وعجزه في سنة ١٩١٥ عن بسط نفوذه على واحتي عنزة وبريدة للتاخمتين لإمارة الكويت ؛ وكان لمقتل الكابتن شكسبير الذي جعلت منه الحكومة الانكليزية واسطة الاتصال بابن السعود أثر عظيم في رجحان كفة فريق القاهرة . وكان فريق القاهرة الذي رشح شريف مكة لزعامة العرب قد اشتد ساعده بظهور الكولونيل

بين ابن السعود والانكليز فى ٢٦ كانون الاول سنة ١٩١٥ فتعهد ابن السعود فى المادة الثالثة منها إن يمتنع عن الاتصال أو الاتفاق أو التعاهد مع أية مملكة أو دولة اخرى وأن يشعر حالا السلطات البريطانية عند محاولة أية دولة أجنبية التدخل بشؤون مملكته ، وتعهد فى المادة الرابعة أن لا يتنازل ولا يبيع ولا يؤجر أو يتصرف بأي قسم أو جزء من ممتلكاته وأن لا يمنح الامتيازات فيها لأية دولة أجنبية أو لرعايا دولة أجنبية من غير موافقة الحكومة البريطانية وأن يقبل مشورتها التي لا تضر بمصالحه دون قيد أو شرط . ولابد أن يكون القارئ قد التفت الى الشبه العظيم بين هذه المواد وبين بنود الاتفاقيات التي عقدتها بريطانية مع امارات ومشايخ الخليج فى خلال القرن التاسع عشر (Wilson, Loyalties, Mesopotamia, 1914–1917 Appendix II ص ٢١٤ — ٢١٥)

(١) Cocks, Secret Treaties and Understandings ص ٢٣

لورنس والمس بيل واستطاعتهما التفات نظر الرأي العام الانكليزي والاستفادة من كل فرصة لحمل السياسة الانكليز على قبول وجهة نظرهما[١] .

كان اللورد كتشنر قد اتصل بالشريف حسين من القاهرة قبيل الحرب العامة ، فلما كانت سنة ١٩١٥ أعلمت دائرة الاستخبارات البريطانية في القاهرة حكومة لندن ان الامر قد دبر مع الشريف فوافقت حكومة لندن للحال أن تدخل هذه الصلات بدورها الفعلي رغبة منها في إقلاق الحكومة العثمانية والانتقام لمعركتي غاليبولي والكوت . فاستلم السر هنري مكماهون — المعتمد السامي بالوكالة في القاهرة — على الاثر كتاباً من الشريف يطلب فيه أن تضمن بريطانية استقلال البلاد العربية برمتها جزاء قيام العرب بوجه الدولة العثمانية في هذه الظروف العصيبة . وكان جواب مكماهون الاول مبهماً ، غير أنه أردفه بكتاب آخر في تشرين الاول سنة ١٩١٥ أبان فيه ان بريطانية مستعدة أن تعد بالاعتراف باستقلال البلاد العربية بحدودها المبينة في كتاب الشريف[٢] ولكن باستثناء ولايتي مرسينا والاسكندرونة والبلاد السورية الواقعة غرب ولايات دمشق وحمص وحماة وحلب ، وان تساعد العرب في حركتهم ضد الدولة العثمانية . واتصل مكتب القاهرة بالاسر العرب فأطلقت الحكومة الانكليزية سراحهم لاستخدامهم في ادارة الثورة ضد الدولة العثمانية . حتى اذا كان اليوم الخامس من شهر حزيران سنة ١٩١٦ أعلن

---

(١) Coke, The Arabs Place in The Sun ص ٢٢٠ — ٢٢٢

(٢) وكان قد طلب اليها أن تعترف باستقلال البلاد العربية الممتدة بين مرسينا وحدود ايران على خط عرض ٣٧ من الشمال وبين البحر الاحمر والابيض المتوسط من الغرب والمحيط الهندي من الجنوب والخليج الفارسي وحدود ايران من الشرق

الشريف حسين استقلال الحجاز ورفع علم الثورة ضد الدولة ونشر بياناً على المسلمين حاول فيه أن يبرر عمله هذا . واجتمع شيوخ العرب في مكة فنودي بالشريف « سلطاناً للعرب » ، غير أن هذا اللقب أثار غيظ امراء العرب الآخرين ، لاسيما ابن السعود ، الذين لم يعترفوا بالشريف و بمفاوضاته باسم العرب فاضطرت بريطانية أن تحمل الشريف على الاكتفاء بلقب « ملك الحجاز » . ونظم الانكليز جيشاً من العرب بقيادة الامير فيصل والكولونيل لورنس لمحاربة الاتراك . ولكن الكولونيل لورنس ومكتب القاهرة لم يكتفيا بهذا الجيش وانما هاجموا الجبهة التركية في سورية بجيش من الجواسيس والدعاة المهيجين فكانوا وهم في مكة والقاهرة قد أتموا في الحقيقة افتتاح سورية ومهدوا السبيل للحملة الانكليزية العربية التي دخلت الشام من غير ما مقاومة . وقد أظهر الكولونيل لورنس في القيام بهذه المهمة من المكر والنشاط ما رفع اسمه عالياً في قائمة خدام الاستعمار البريطاني في الشرق ولقب بحق ملك العرب غير المتوّج[1] .

ان الغيظ الذي أثارته مظاهرة بريطانية الشريف الحسين بين امراء العرب — ولاسيما ابن السعود — واستياء الموظفين البريطانيين المشتغلين في شؤون الخليج الفارسي والعراق واعتراضهم على اختيار الشريف واغفال ابن السعود[2] ؛ والارتباك المتوقع حدوثه من جراء الاختلاف بين وجهتي

---

(١) Wilson, Loyalties, Mesopotamia, 1914–1917 ص٣٠٣ — ٣٠٤ ؛ R. Coke, The Arabs Pace in The Sun ص٢٢٣ — ٢٢٦ ؛ Earle ص٢٨٤

(٢) وكانوا يعتقدون أن الشريف الحسين لا يصلح كأداة ينتفعون بها لبسط نفوذهم في العراق ومنطقة الخليج الفارسي لضآلة نفوذه ونفوذ البيت الهاشمي في هذه الجهات

نظر فريق القاهرة وفريق الهند ؛ كل ذلك حمل ساسة الانكليز على التفكير في توحيد سياستهم في الشرق الادنى . وعلى ذلك بدأ الفريقان يعملان في سبيل التفاهم ودرس الخطة الجديدة فزار المستر ستور (من رجال فريق القاهرة) مدينة البصرة في أوائل سنة ١٩١٧ وتداول مع الانكليز المشتغلين في شؤون الخليج والعراق ثم قرر زيارة الرياض لمقابلة ابن السعود ، ولكنه اضطر لمرض أصابه في الطريق أن يعود الى فلسطين . وكان السر مارك سايكس قد زار العراق والخليج قبل ذلك للاطلاع على حقيقة الحال ومباحثة رجال الاستعمار البريطاني فيه والوقوف على وجهة نظرهم ؛ وأعقبه الكابتن اوبرى هربرت في نيسان سنة ١٩١٦ لعين الغرض ، ثم الكابتن جورج لويد (الذي أصبح فيما بعد اللورد لويد) وكان من رجال مكتب القاهرة وقد بقي بمعية السر برسي كوكس ما ينوف على الشهرين[١] . وكان ساسة الانكليز في لندن قد اضطروا — أمام إلحاح فرنسة — على عقد اتفاقية سايكس — بيكو[٢] التي ناقضت عهود انكلترة للملك حسين وبقيت مكتومة حتى عن الموظفين البريطانيين في الشرق الادنى الى سنة ١٩١٧[٣] . ثم اضطرت بريطانية في أواخر سنة ١٩١٧ — لشدة حاجتها

ولمدعياته الكثيرة ومطامحه الواسعة التي قد تؤدي عاجلا أو آجلا الى نشوب الاختلافات وظهور المشاكل

(١) Wilson, Loyalties, Mesopotamia, 1914-1917 ص ٣٠١ — ٣٠٥ ١٥٢ — ١٥٣

(٢) راجع ص ٢٢٦

(٣) R. Coke, The Arabs Place in The Sun ص ٢٢٥ . وكان غرض الانكليز الرئيسي من هذه الاتفاقية تكوين منطقة تحت الحماية الفرنسية تفصل بينهم وبين

الى المال وأمام إلحاح اللورد روتشيلد وغيره من رجال المال اليهود والمشتغلين في قضية الوطن القومي اليهودي من الصهيونيين — أن تعد الصهيونيين بمساعدتهم وتأييدهم في تأسيس الوطن القومي (تصريح المستر بلفور وزير الخارجية في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩١٧[١]) . وفي آذار سنة ١٩١٧ احتل الانكليز بغداد وأصدر الجنرال مود بيانه المعروف مؤيداً فيه فكرة الوحدة العربية وداعياً الاهلين الى التعاون مع الانكليز لاقامة الحكم الوطني وتحقيق الاماني القومية . وفي تشرين الثاني سنة ١٩١٧ تم الفوز للثورة الروسية التي أقامت النظام السوفيتي وأخرجت روسية من الحرب وقلبت سياستها تجاه شعوب الشرق الادنى كما رأينا في الفصل السابق . كل هذه التطورات أدت الى أن تتخذ سياسة بريطانية الاستعمارية في الشرق الادنى والاوسط شكلها النهائي عند عقد الهدنة وفي أثناء مفاوضات الصلح .

* * *

ان الذي يمعن النظر في المعاهدات السرية[٢] التي عقدت بين الحلفاء في أثناء الحرب العامة ويحاول رسم خارطة للشرق الادنى والاوسط بمقتضى

المنطقة الروسية . ولم تستحسن روسية اتصال حدود ممتلكاتها بحدود الممتلكات الفرنسية أول الامر ، ولكنها اضطرت الى الموافقة أخيراً في ٢٦ نيسان سنة ١٩١٦ (Wilson, Loyalties, Mesopotamia ص ١٥٣)

(١) وهذا نص التصريح : ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف على تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وتسعى ما استطاعت لتسهيل تحقيق هذه الامنية على أن يكون مفهوماً إن ما سيجري من العمل في هذا السبيل لا يخل بالحقوق المدنية والدينية للسكان المقيمين في فلسطين من غير اليهود أو بما يتمتع به اليهود في الممالك الاخرى من الحقوق والمنزلة السياسية

(٢) راجع ص ٢٣٥ — ٢٣٦

ماجاء فيها يستطيع أن يتبين لأول وهلة طابع السياسة البريطانية الامبراطورية فيها ؛ فقد قسمت هذه المعاهدات الشرق الاوسط والادنى الى ثلاث مناطق : المنطقة الروسية وتبدأ باستانبول وتمتد على القسم الشمالي من بلاد الانضول بما فيه ولايات أرضروم وترابزون ووان الى تفليس وكردستان حتى تتصل بمنطقة النفوذ الروسية في الثلث الشمالي من بلاد فارس (المعينة بموجب الاتفاقية الانكليزية الروسية في سنة ١٩٠٧) ؛ ثم المنطقة الفرنسية وتشمل السواحل السورية وولايات عينتاب وماردين والموصل وتتصل بالمنطقة الروسية على ضفاف دجلة مقابل الثلث الاوسط من بلاد ايران المعينة في الاتفاقية الروسية الانكليزية لسنة ١٩٠٧ ؛ أما المنطقة الثالثة ، وهي حصة انكلترة ، فتبدأ بخط يمتد الى الشرق باستقامة حدود مصر الشمالية وتشتمل على فلسطين وشرق الاردن والقسم الجنوبي من المملكة العربية التي أراد الانكليز صوغها من الاراضي الواقعة بين سواحل سورية والعراق وتقسيمها الى منطقتي نفوذ تكون الشمالية منها لفرنسة والجنوبية لانكلترة لتتمكن من سد الفراغ بين حصتها الغربية وحصتها الشرقية التي تشمل ولايتي بغداد والبصرة والثلث الجنوبي من البلاد الايرانية . وبديهي إن هذا التوزيع يطابق تمام المطابقة خطط الامبراطورية البريطانية لحماية الهنـــد وضمان السيطرة على طريق المواصلات الامبراطورية في الشرق ، فقد سيطرت بريطانية بمقتضى هذه المعاهدات على الطريق البري الممتد بين البحر الابيض المتوسط والخليج الفارسي وعلى جهة تبدأ بمصر وتنتهي بالتيبت فتجعل بقبضتها مصر وفلسطين وبلاد العرب والعراق والقسم الجنوبي والاوسط من بلاد ايران والافغان

والتيبت وذلك كل ما تحتاج لحماية الامبراطورية الهندية . وقد وافقت انكلترة أن تكون لفرنسة منطقة تمتد بين البحر الابيض المتوسط والمنطقة الايرانية المحايدة رغبة منها فى أن تجعل من الممتلكات الفرنسية حاجزاً بينها وبين المنطقة الروسية تخلصاً من المنافسة الروسية ودفعاً للخطر الذي قد يتأتى من جرائها[1].

غير أن الثورة الروسية التي أزالت القيصرية الروسية من الوجود أحدثت انقلاباً خطيراً فى سياسة بريطانية الامبراطورية فى الشرق . فقد كانت انكلترة بعد سنة ١٩٠٧ وفى خلال الحرب العامة قد خطت خطوات واسعة فى سبيل التفاهم مع الحكومة القيصرية الروسية لحل مشكلة المنافسة الاستعمارية فى الشرق الاوسط والادنى حتى خيل لساسة أوربا أن المسألة الشرقية قد انتهت بعد أن أشغلت أوربا ما يتوف على القرن ، ولكن لما شطبت الحكومة السوفيتية على سياسة القيصر ووقفت الى جانب الشعوب الشرقية تأخذ بيدها الى النهوض وفضحت المعاهدات السرية التي دبرها الرأسماليون لاستعباد الشرق وأخذت تحرض جماهير العمال والفلاحين فى آسيا على القيام بوجه الرأسماليين ، تحرج موقف الاستعمار الانكليزي فى الشرق واضطر الانكليز الى اتخاذ تدابير جديدة لملافاة ما حدث من الخلل فى خطتهم العامة بعد هذا التبدل واحكام جبهة الدفاع ضد الخطر الروسي الجديد بعد أن لم يبق مجال لهم للاتفاق مع الحكومة السوفيتية كما فعلوا مع حكومة القيصر . وعلى ذلك وضع المستر لويد جورج والمستر ونستن تشرشل واللورد بركنهيد (من أعضاء الوزارة البريطانية) خطة جديدة للسياسة البريطانية فى الشرق على

---

(١) Wilson, Loyalties, Mesopotamia, 1914–1917 ص ١٥٣

أساس تأسيس « امبراطورية الشرق الاوسط » على أن تمتد من مصر الى الهند وتشتمل على بلاد العرب والموصل وفلسطين والمنطقة الروسية الايرانية وحصة روسية من أملاك الدولة العثمانية بالاضافة الى ما كسبوه فى معاهدة سايكس — بيكو[١]. وكانت بريطانية تريد أن تستحوذ على استانبول وتساعد اليونان فى الاستيلاء على سواحل آسيا الصغرى الغربية[٢] وتجعل من بلاد القفقاز وتركستان منطقتي نفوذ لها لحماية هذه الامبراطورية. وقد بدا هـذا الحلم ممكن التحقيق فى سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ فقد كانت الجيوش الانكليزية قد احتلت استانبول وراحت تتقدم فى القفقاز وفى ايران وتركستان، واكتسحت الجيوش اليونانية بلاد الانضول، وشجعت بريطانية على تأسيس مملكتي أرمينية وكردستان لتخدما مقاصدها الاستعمارية، وكان الحكم البريطاني قد استتب في مصر وفلسطين والعراق[٣]، وأخذت انكلترة تثير سكان سورية ضد الفرنسيين[٤] وتسوقهم الى المطالبة بالانتداب الانكليزي لترغم فرنسة على التنازل عن الموصل والموافقة على اعلان الانتداب الانكليزي في فلسطين حتى اضطرتها الى الموافقة على إعادة النظر في اتفاقية

---

(١) وكانت الموصل حسب معاهدة سايكس — بيكو قد منحت لفرنسة واعتبرت فلسطين منطقة دولية وارجئ البت بشأنها يومئذ

(٢) والبلاد اليونانية بطبيعة موقعها الجغرافي وتعرضها للاسطول البريطاني مضطرة أن تبقى منقادة لبريطانية

(٣) Nationalsm and Imperialism in The Hither East, by Hans Kohn ص ١٢ — ١٤

(٤) وقد بلغ النزاع على سورية أشده بين انكلترة وفرنسة في مؤتمر الصلح اذ ادعت بريطانية انها أحق بسورية من الفرنسيين لما بذلته من الاموال والارواح،

سايكس – بيكو فجرت المفاوضات بينها وبين انكلترة في هذا الشأن في مؤتمر سان ريمو في نيسان سنة ١٩٢٠ وتم عقد اتفاقية سان ريمو التي نالت بريطانية بموجبها الانتداب على فلسطين والعراق بما فيه ولاية الموصل ، وأتمت كذلك التمهيدات لعقد معاهدة سيفر التي جعلت من البلاد التركية غنيمة للمستعمرين ، ومهدت السبيل لعقد المعاهدة الانكليزية – الايرانية وكانت تريد بها أن تتم استعمار ايران . واهتم المستر تشرشل – الذي تولى منصب وزارة المستعمرات عام ١٩٢١ – بتأسيس دائرة خاصة بشؤون الشرق الاوسط وتعيين الكولونيل لورنس مشاوراً فيها[١] ؛ وعقد في القاهرة مؤتمراً لدرس موضوع امبراطورية الشرق الاوسط حضره كبار الموظفين البريطانيين المشتغلين فى شؤون البلاد العربية كالسر برسي كوكس ودافيد هوركارث والسر رونالد ستار والسر كابرت كلايتن واللورد جورج لويد والكولونيل لورنس والمس بل[٢] ؛ وأوفد بعثة انكليزية مؤلفة من المستر فلبي – وكان موظفاً في دائرة الاعتماد في العراق – والكولونيل هملتن – وكيل بريطانية في الكويت – والكولونيل كونلف اوون – من رجال القوة العسكرية في العراق – لدرس أحوال بلاد العرب وتقديم تقرير عنها[٣]. وقد رأى مؤتمر القاهرة ضرورة الاحتفاظ بالحماية البريطانية في مصر ،

وصرح اللورد اللنبي ان الجيوش والاموال الانكليزية هي التي احتلت سورية وان العرب لم يكن لهم شأن يذكر في هذا الامر . (Baker ، المجلد الاول ص ٧٠ – ٧٤ والمجلد الثالث ص ٤ – ٥)

(١) Report on Iraq Administration. October 1920–March 1922

(٢) Bell ص ٢٥٠

(٣) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East ص ٢٧٠

وتنصيب الامير عبدالله أميراً على شرق الاردن[١] . — وقد أراد الانكليز بتأسيس هذه الامارة وتنصيب الامير عبدالله عليها أن يجعلوا منها سوراً يدفع خطر البادية عن فلسطين[٢] ، ووسيلة لدوام العداء بين العائلة السعودية والعائلة الهاشمية — وقرر أيضاً تأييد ترشيح الملك فيصل لعرش العراق[٣] . ورأى الانكليز في توطيد سلطان ابن السعود في جزيرة العرب وتقسيم العروش والامارات بين عائلتين متعاديتين ضماناً لدوام السيطرة البريطانية في البلاد العربية اذ يكون باستطاعتهم في مثل هذه الحالة أن يستخدموا هذه القوى المتنافرة الواحدة ضد الاخرى ويحملوها جميعاً على الاستسلام للحكم البريطاني .

على أن نجاح الثورة الروسية والفوز الذي أحرزه الاتراك في نهضتهم الوطنية ، ورفض المجلس الايراني تصديق المعاهدة الانكليزية — الايرانية ، واضطرار الجيوش البريطانية الى الانسحاب من قفقازية وبلاد الخزر وايران ، وفشل محاولة اقامة دولتي أرمينية وكردستان ، وقيام أمان الله واعلانه استقلال أفغانستان وعقده المعاهدات مع روسية وتركية وايران ؛ كل هذه خيبت آمال تشرشل ورفاقه بتأسيس امبراطورية الشرق الاوسط وأحرجت موقف بريطانية في الشرق . ومما زاد في حراجة هذا الموقف اشتداد الحركة الوطنية في الهند وفي مصر وافتضاح أمر السياسة الامبراطورية في الشرق

---

(١) Bell ص ٥٣١

(٢) Hans Kohn, A History of Nationalism in The East ص ٣٠٦ — ٣٠٧

(٣) Newman, Major E. W. Polson, The Middle East ص ٨٠

الادنى والاوسط وتبدل موقف روسية من شعوب الشرق وسعيها في تكوين جبهة معادية لبريطانية بتحالفها مع تركية ، وتحسين علاقاتها بايران وأفغانستان . وهكذا باءت سياسة انكلترة بالفشل في الشرق الاوسط والادنى وقاست انكلترة مرارة الخذلان في جميع الجهات ، إلا البلاد العربية التي تشبثت بها تشبث الغريق بوسيلة الخلاص فنجحت في تسخير رجال العرب لخدمة أغراضها الاستعمارية فراحوا يبذلون في هذا السبيل كل ما عز على الرجال .

وكانت بريطانية قد وطدت نفوذها في البلاد العربية وأحكمت وسائل الدفاع وطرق المواصلات الامبراطورية فاستولت على حيفا وربطتها بمصر وجنوب أفريقية بسكة حديد تمر من السويس ، وبالحجاز وشرق الاردن بسكة حديد الحجاز ، وشرعت تفكر بايصالها بالعراق بسكة حديد تقطع الصحراء ؛ وقبضت على فلسطين بواسطة قضية الوطن القومي اليهودي اذ جعلت العرب فيها ينصرفون عن محاربة الانكليز الى معارضة اليهود — وكلاهما لا يملك في الحقيقة في فلسطين غير آمال من سراب — إذ أن بريطانية لم تعد تستطيع الاستغناء عن فلسطين بحال من الاحوال بعد أن أصبح وجودها فيها محتماً لصيانة قناة السويس ومراكز المواصلات البرية والجوية وحماية مخارج النفط . وقد زاد اهتمام انكلترة بعد فشل مشروع امبراطورية الشرق الاوسط بتثبيت سيطرتها على البلاد العربية فانتزعت عمان والعقبة من مملكة الحجاز وضمتها الى شرق الاردن في سنة ١٩٢٥ وبذلك أصبحت المسيطرة على حيفا (على البحر الابيض المتوسط) والعقبة

(على البحر الاحمر) والبصرة (في رأس الخليج الفارسي) ، وعلى طرق المواصلات التي تربط هـذه المراكز العظيمة الاهمية في قضيتي الدفاع والمواصلات . وانصرفت بعـد سنة ١٩٢٢ الى تعيين الحدود بين الممالك والامارات التي نشأت في البلاد العربية حسبما تقتضيه مصالحها الامبراطورية فجعلت الحدود بين شرق الاردن ونجد تمر في وادي سرحان والحدود بين نجد والعراق تمر في وادي الرمه ، لحفظ الموازنة بين هذه الممالك بعد أن توسع نفوذ ابن السعود في الجزيرة (وحفظ الموازنة بالطبع يعني ضمان ما تقتضيه مصالح المواصلات الامبراطورية) وجعلت حدود شرق الاردن تتصل بحدود العراق في منطقة يبلغ عرضها حوالي المائة كيلومتر وحرمت نجـداً — في معاهدتي الحده والبحره — من الاتصال بمنطقة الانتداب الفرنسي بالرغم مما لهذا الاتصال من الاهمية لتجارة نجد[١] .

أصبح للعراق بعد هذه التطورات في ممالك الشرق الاوسط والادنى أهمية خاصة في نظر الانكليز ، إذ أنه بالنظر لتوسطه بين هذه الممالك ومرور وسائل المواصلات البرية والجوية الى الهند به ولوجود الطرق التي تربطه بجميع بلدان الشرق الاوسط والادنى[٢] ، أصبح المركز الوحيد الذي تستطيع بريطانية أن تحافظ بواسطته على نفوذها في الشرق وتحمي طرق الامبراطورية الهندية

---

(١) Nationalism and Imperialism in The Hither East, by Hans Kohn ص ١٣ — ١٤

(٢) يتصل العراق بالبحر الابيض المتوسط ومصر برأ بطريق الصحراء الى الشام فحيفا فمصر وبطريق شرق الاردن ، ويتصل بنجد بطريق الحج الجديد ، وبتركية بطريق دجلة الى حلب فاستانبول وبطهران بطريق السيارات الجديد وبالهند بطريق البصرة — ايران . ومنه تمر جميع الطرق الجوية الى الشرق

وتتصل بالاكراد في تركية وتثيرهم ضد الاتراك ، وتتحكم بامور البادية وسلطنة نجد فالعراق بالرغم من تعرضه لخطر مهاجمة سكان البادية له ، لعدم وجود حواجز طبيعية بينهما ، فان في وسعه أن يضايق أهلها بمنعهم عن المسابلة مع أسواقه التي يتموّنون منها مثل الزبير والخميسية والسماوة وسلمان . وليس في الشرق موقع حربي كالعراق تستطيع بريطانية أن تستعين به لتعبئة الجيوش من الهند عن طريق الخليج الفارسي ومن أوربا عن طريق خط حديد حيفا المزمع انشاؤه قريباً[١] . وأهمية العراق الحربية في وضع بريطانية بعد الثورة الروسية هو الذي حملها على ضم الموصل الى العراق لتتمكن من تثبيت موقف الدفاع ضد الجبهة الروسية — التركية في حالة الحرب وقد ضحت في سبيل الحصول على هذه الولاية بربع النفط الموجود فيها اذ منحته افرنسة مقابل تنازلها عنها[٢] . وقد ازدادت أهمية العراق في نظر الانكليز وفي الوقت الحاضر بعد أن جعلوه مقراً للدفاع الجوي في الشرق[٣] وشرعوا في انشاء المطارات وملحقاتها في

---

(١) وقد سبق للانكليز ان استفادوا من وجودهم في العراق بسوقهم فرقة من الجنود من بغداد الى تفليس سنة ١٩١٨ لمقاومة روسية السوفيتية . وقد اتهم الاتراك بريطانية في تحريض الاكراد على الثورة سنة ١٩٢٠ (أثناء البحث في قضية الموصل ليستفيدوا من إثارة الاكراد في العراق ضد تركية ومن معارضتهم انضمام الموصل اليها) وفي سنة ١٩٢٠ (Kruger ص ١١٦)

(٢) Lausanne Conference on Near Eastern Affairs, 1922–1923, Cmd. 1814

(٣) كانت القوة الجوية البريطانية أول من سعى لفتح الطريق الجوي بين البحر الابيض المتوسط والخليج الفارسي وقد شرعت تنقل البريد بين القاهرة وبغداد منذ سنة ١٩٢١ فحققت بذلك فكرة المواصلات السريعة بين بريطانية والهند . وقد افتتحت المواصلات الجوية من أول نيسان سنة ١٩٢٩ بين لندن والقاهرة فالبصرة ، ومنها الى الخليج الفارسي فكراچي فسنغابور . وكان الطريق الجوي يمر أول الامر بسواحل الخليج

من الذبان والشعبية وهي عمدة بريطانية في الدفاع عن امبراطوريتها الشرقية في الحرب المقبلة وفي الاحتفاظ بنفوذها في الشرق الاوسط والادنى .

وقد نجحت بريطانية في سياستها الجديدة في الشرق الادنى نجاحاً باهراً لاسيما في العراق حيث تمكنت أن ترفع عن كاهلها المصاريف الباهضة التي اقتضاها دوام الاحتلال[1] بتأسيس نظام الحكم الحاضر فيه وقد احتفظت بوجوده بكل ماتقتضيه مصالحها الدفاعية والاقتصادية . والمهم في هذا الامر ان السياسة البريطانية باقامة هذه النظم المزيفة قد استطاعت أن تتخلص من المقاومة التي جابهها الاحتلال البريطاني في الشرق الادنى أثناء الحرب وفي أواخرها وتشغل أهل البلاد عن الاستعمار ورزاياه بالمشاحنات والمنازعات الداخلية فيما بينهم .

وقد تحقق لبريطانية في العراق كل ما يمكن أن تطمح اليه دون أن تتكلف بشيء من المصروفات أو التضحيات ، وهذا هو غاية ما يمكن أن

الشرقية ، ولكن اعتراض ايران بناءً على شكوكها بالسياسة البريطانية واصرارها على أن يمر الطريق الجوي الى الهند من بلاد ايران الداخلية اسوة بالطرق الجوية الاخرى وحرصها على سيادتها حمل بريطانية على التنازل عن جزيرتي هنجام وقشم والاستعاضة عن محطاتها بتأسيس المحطات الجوية في الكويت والبحرين والشرجه (راجع ص ٦٤) رغبة منها أن يبقى الطريق الجوي قريباً من الساحل ليستطيع الاسطول البريطاني أن يحمي مراكزه في حالة الحرب . وتمر ببغداد في الوقت الحاضر الطائرات الفرنسية في طريقها من مارسيليا وبيروت الى الهند الصينية والطائرات الهولندية في طريقها الى المستعمرات الهولندية في جزر الهند الشرقية وطائرات شركة جنكرس الى طهران فباكو فموسكو (Nationalism and Imperialism in The Hither East ص ١٥ — ١٦)

(١) وقد كانت المبالغ الطائلة التي تحملتها الخزينة الانكليزية في خلال الحرب العامة من أقوى الاسباب التي حملت بريطانية على الغاء الاحتلال في العراق . ويدعي الانكليز انهم صرفوا ما ينوف على مائة مليون روبية في العراق خلال الحرب العامة

يتطلع اليه الاستعمار . فمعاهدة ١٩٣٠ قد ضمنت لها أكثر مما يمكن أن تأمله من الهند في حالة الحرب . والذي يمعن النظر في بنود هذه المعاهدة يتبين ان قضية الدفاع هي أهم ما استهدفت بريطانية تحقيقه في هذا الاتفاق الاجباري الذي أصبح العراق بموجبه مقراً للدفاع الامبراطوري في الشرق الادنى والاوسط . فقد حرمت العراق في المادة الاولى من حق التمتع بالسيادة الخارجية اذ اشترطت أن « تجري بينهما (صاحبي الجلالة ملك انكلترة وملك العراق) مشاورة تامة وصريحة في جميع شؤون العراق الخارجية مما قد يكون له مساس بمصالحهما المشتركة » ؛ وأي شأن من شؤون العراق الخارجية لا تستطيع بريطانية أن تدعي ان له مساساً بمصالحهما المشتركة ، بينما العراق لا يستطيع أن يتمتع بحق المقابلة في هذا الامر . وقد جاء في المادة الرابعة :

« وفي حالة حرب محدقة يبادر الفريقان الساميان المتعاقدان »
« فوراً الى توحيد المساعي في اتخاذ تدابير الدفاع المقتضاة »
« ان معونة صاحب الجلالة ملك العراق في حالة حرب »
« أو خطر حرب محدقة تنحصر في أن يقدم الى صاحب »
« الجلالة البريطانية في الاراضي العراقية جميع ما في وسعه »
« أن يقدمه من التسهيلات والمساعدات ومن ذلك »
« استخدام السكك الحديدية والانهر والموانئ والمطارات »
« ووسائل المواصلات . »

وجاء في المادة الخامسة :

« مع ذلك يعترف جلالة ملك العراق بأن حفظ وحماية »

« مواصلات صاحب الجلالة البريطانية الاساسية بصورة »
« دائمية فى جميع الاحوال هما من صالح الفريقين الساميين »
« المتعاقدين المشترك . فمن أجل ذلك وتسهيلاً للقيام »
« بتعهدات صاحب الجلالة البريطانية وفقاً للمادة الرابعة »
« أعلاه يتعهد جلالة ملك العراق بأن يمنح صاحب »
« الجلالة البريطانية طيلة مدة التحالف موقعين لقاعدتين »
« جويتين ينتقيهما صاحب الجلالة البريطانية فى البصرة »
« أو فى جوارها وموقعاً واحـــداً لقاعدة جوية ينتقيها »
« صاحب الجـــلالة البريطانية فى غرب الفرات ... »
« وكذلك يأذن جلالة ملك العراق لصاحب الجلالة »
« البريطانية فى أن يقيم قوات فى الاراضي العراقية فى »
« الاماكن الآنفة الذكر وفقاً لأحكام ملحق هذه »
« المعاهدة على أن يكون مفهوماً ان وجود هذه القوات »
« لن يعتبر بوجه من الوجوه احتـــلالاً ولن يمس على »
« الاطلاق حقوق سيادة العراق . »

وقد ضمنت بريطانية فى هاتين المادتين كل ما تحتاج اليه فى حالة نشوب الحرب وضمنت سلامة المواصلات الامبراطورية كما احتفظت بحق البت بشؤون العراق الخارجية فى المادة الاولى . إن التصريح الوارد فى المادة الخامسة حول وجود القوات البريطانية فى العراق — وما أخذه من التعهدات على نفسه — وانها لن تمس على الاطلاق بسيادته لمن أغرب ما نطقت به المعاهدات .

ومن الامور التي تظهر درجة اهتمام بريطانية فى قضية حماية طريق الهند ما اشترط فى المادة الحادية عشرة بأن يقوم أي الفريقين قبل انتهاء مدة المعاهدة (وهي خمس وعشرون سنة) بخمس سنين « بناءً على طلب أحدهما بعقد معاهدة جديدة ينص فيها على الاستمرار على حفظ وحماية مواصلات صاحب الجلالة البريطانية الاساسية فى جميع الاحوال . وعند الخلاف فى هذا الشأن يعرض ذلك الخلاف على مجلس عصبة الامم » ؛ وذلك يضمن لبريطانية بحكم ما لها من النفوذ فى العصبة الحصول على ما تبتغيه فى هذا الشأن .

أما الملحق فقد جاء مؤيداً وموضحاً لما ورد فى نص المعاهدة فيما يتعلق بامور الدفاع ؛ فقد نص البند الخامس أن يجري « تعليم الضباط العراقيين الفنون البحرية والعسكرية والجوية فى المملكة المتحدة » ، وتعهد جلالة ملك العراق « إنه اذا رأى ضرورة التجاء الى مدربين عسكريين أجانب فانهم يختارون من الرعايا البريطانيين » وتعهد جلالته أيضاً « بأن التجهيزات الاساسية لقوات جلالته وأسلحتها لا تختلف فى نوعها عن أسلحة قوات صاحب الجلالة البريطانية وتجهيزاته . » وجاء فى العقد السابع من هذا الملحق :

« يوافق جلالة ملك العراق على أن يقوم عند طلب »
« صاحب الجلالة البريطانية ذلك بجميع التسهيلات »
« الممكنة لمرور قوات صاحب الجلالة البريطانية من جميع »
« الصنوف العسكرية عبر العراق ولنقل وخزن جميع »
« المؤن والتجهيزات التي قد تحتاج اليها هذه القوات »
« فى أثناء مرورها فى العراق وتتناول هذه التسهيلات »

« استخدام طرق العراق وسككه الحديدية وطرقه المائية »
« وموانئه ومطاراته . ويؤذن لسفن صاحب الجـلالة »
« البريطانية اذناً عاماً في زيارة شط العرب بشرط اعلان »
« جلالة ملك العراق قبل القيـام بتلك الزيارة للموانئ »
« العراقية »

* * *

إن بريطانية قد توفقت في السيطرة على شؤون بلاد الشرق الادنى كما توفقت في استعمار الهند من قبل ، بتسخير ذوي الاطماع الذين قامروا بمصالح بلادهم ومقدرات شعوبهم وصاروا اداة لبث بذور التفرقة والشقاق فيما بينها بأبخس الاجور ، وانخدعوا بالالقاب المزيفة الكاذبة التي خلعها عليهم الاستعمار . وقد أحرز الاستعمار البريطاني بخلقه هذه الاوضاع والنظم السياسية المزيفة فوزاً لم يسبقه اليه أحد من قبل فقد استطاع بواسطتها أن يحقق جميع ما كان يصبو اليه من غير أن يكلف نفسه شيئاً مما اقتضته أنواع الاستعمار الاخرى من الاموال والتضحيات ، فقـد أشغل رجال هذه البلدان بالمنافسات والمنازعات على الوظائف والمناصب التي شبهها بعضهم بالعظام تلقى للكلاب ، وصار هو السيد المطاع يتسابقون جميعاً الى اكتساب رضاه ، وتنفيذ أوامره ، وتحقيق أغراضه من غير ما تورع ، للنيل من بعضهم البعض من غير التفات لما يصيب البلاد ومصالح السواد الاعظم من الاضرار .

وان الاستعمار باثارة النفرة وروح العداء ، و بعث الشقاق وايلاع نيران الفتن بين الطوائف المختلفة في الدين والمذهب ، قد فرق بين صفوف الشعب

الواحد في المملكة الواحدة ، فجعل له من ذلك قوة يستند اليها في دوام سيطرته على البلاد . والاستعمار الذي جعل من الآثوريين اداة استخدمها ضد العراقيين ، كما استخدمها واستخدم الارمن من قبل ضد الاتراك ، هو وحده المسؤول في الحقيقة عن المصير المؤلم الذي صارت اليه هذه الشعوب ، وقدمت من قبل عليها قرون وهي آمنة في بلادها في هذا الشرق الوديع ؛ وهو وحده المسؤول عن الارواح البريئة التي هدرت دماؤها في آسيا الصغرى وفي جبال كردستان وفي العراق ، ضحية للتعصب الاهوج الذي أثاره وغذاه واستخدمه في تحقيق مطامعه ، وهو لا زال يكرر إثارته من وقت لآخر لإشغال الشعوب بالنزاع فيما بينها عن العمل على مقاومته والتخلص منه ، وهو منبع كل الشرور .

إن من أمض الاسلحة التي استخدمها الاستعمار ولا زال يستخدمها في هذا الشرق ، سلاح العنصرية ، التي أثارها وسخر لها من حمل لواءها من صنائعه ومن لف لفهم من قصراء النظر ، فراحوا يقيمون في هذا الفضاء الفسيح أعظم الامبراطوريات ، ليشغلوا الناس عن الواقع بالاوهام ، ويثيروا النعرات العنصرية ، فيزيدوا الشرق ضعفاً على ضعفه فالقضية العربية ، التي رأينا كيف أوجدها الاستعمار الانكليزي والفرنسي في الشرق بقصد استخدامها ضد الوحدة الاسلامية ؛ وكذلك القضية الكردية ؛ هما من جملة الاسلحة التي ركن اليها الاستعمار الانكليزي في الشرق لإثارة روح العداء والتفرقة بين العرب والاكراد والاتراك والايرانيين ، ليحول دون تعاون هذه الشعوب ضد العدو المشترك الذي حرم البعض من حق الحياة ، ونغص العيش على البعض الآخر . إن واجب العراقيين أن ينتبهوا الى هذا الخطر

بوجه خاص .

إن الاستعمار هو عدو الشرق ، والسبب فيما نال ولا يزال ينال شعوبه من الويلات ، فهو الذي أعاق تقدمهم وحرمهم من استثمار خيرات بلادهم ، والاستعانة بما توصلت اليه البشرية من أسباب العيش لرفع مستوى حياتهم . وطريق الشرق الى الخلاص هو طريق الاتحاد ضد الاستعمار . والاستعداد للاتحاد يستلزم التخلص من صنائع الاستعمار ، ومن دعاة العنصرية ومثيري الاختلافات الدينية والطائفية ، وسائر المستغلين من غير تفريق ؛ وأن تتعظ شعوبه بما جرى ولا يزال يجري في الهند ، وتتخذ من فشل الحركة الوطنية التقليدية عبرة لها في جهادها ، فتترك الطرق التي اتخذ منها المستغلون وسيلة للكسب والمساومة مع المستعمرين ، الى توحيد صفوفها للجهاد في سبيل الخلاص من الاستغلال بكافة ضروبه ومن المستغلين على اختلاف أصنافهم وأساليبهم .

وحري بأهل العراق — الذي جعل الاستعمار البريطاني منه مقراً لوسائل الدفاع وسيجعل منه ميداناً للمعارك الدامية في الحرب المقبلة — حري بهم أن يفكروا في المستقبل القريب ، وأن ينتبهوا بوجه خاص الى المكائد التي دبرها الاستعمار لهم ولشعوب الشرق على حد سواء ، وأن يستفيدوا من موقع بلادهم الخطير في العمل على انقاذ أنفسهم من ويلات الاستعمار ، وأن يتذكروا دائماً وأبداً ان خلاصهم من الاستعمار منوط بتعاون شعوب الشرق كافة وبزوال الاستعمار من جميع بلاد الشرق .

— انتهى —

مصادر الكتاب

مصادر الباب الاول

Ainsworth, William Francis. A Personal Narrative of The Euphrates Expedition. 2 Vols. (London 1888)

Andrew, Sir William. Memoirs of The Euphrates Valley Route. (London 1857)

—— The Euphrates Valley Route To India (London 1882)

—— India and Her Neighbours (London 1878)

Beauchamp. Joan. British Imperialism in India. (London 1934)

Bennet, T. J. " The Past and Present Connections of Great Britain With The Persian Gulf, " in the Journal of The Society of Arts, June 13, 1902

Black, Charles E. Drummond. " A Railway From The Mediterranean To India, " in the Asian Central Society. February 27, 1909

British Documents on The Origins of The War, 1898-1924, Edited by G. P. Gooch and H. W. V. Temperly, Vols. III and IV

Chesney, F. R. " The Results of an Examination of The Red Sea and The Euphrates, Submitted by F. R. Chesney, Captain, Royal Artillery, February, 2, 1833

—— The Expedition for The Survey of The Rivers Euphrates and Tigris. Vols. I and II. (London 1868)

—— Report on The Euphrates Valley Railway (London 1857)

Churchill, Rt. Hon. Winston S. The World Crisis. 1923-1926

Coke, Richard. The Heart of The Middle East. (London 1926)

Curzon, Hon. G. N. (M. P.) Persia and The Persian Question. 2. Vols. (London 1892)

De Warren, Coun! Edward. " European Interests in Railways in The Valley of the Euphrates, " Reprinted from The Morning Herald of March 30 th, April 4 th, 11 th and 18 th. 1911

Dunn, Richard G. " British Interests in The Persian Gulf, " in The Central Asian Society, January 9, 1907

Dutt, R. Palme. Modern India. (London 1927)

Earle, Edward Mead. Turkey, The Great Powers and The Baghdad Railway (New York 1924)

Encyclopaedia Britannica. " The Persian Gulf, " in The 13 th, and 14 th, Editions

Fitzgerald, Percy. The Great Canal at Suez. Its Political, Engineering and Financial History, with an account of The Struggle of its Projector. 2 Vols. (London 1876)

Fox, Ralph. Colonial Policy of British Imperialism (London 1933)

Hamilton, Angus. Problems of The Middle East. (London 1909)

Heude, Leutinant William. A Voyage up The Persian Gulf and a Journey Overland from India to England in 1817. (London 1819)

Kohnenfeild, Kohn Von, The Strategic Importance of The Euphrates Valley Railway, Translated by C. W. Wilson (London 1873)

Longrigg, S. H. Four Centuries of Modern Iraq (London 1924)

Miles, Colonel S. B. The Countries and Tribes of The Persian Gulf

Moberly, Brig-General F. J. The Campaign in Mesopotamia 1914-1918. 4 Vols. (His Majesty's Stationary office, London 1924-27)

Moon, Parker Thomas. Imperialism and World Politics. (New York 1930)

Parliamentary Debates, House of Lords, Fourth Series, Vol. 121. (1903)

Persian Gulf. Handbook Prepared Under The Direction of The Historical Section of The Foreign Office. No. 76. (His Majesty's Stationary Office. London 1920)

Report of The Select Committee of The House of Commons, dated 22 nd. July, 1872

Sykes, Sir Percy. A History of Persia. 2 Vols. (London 1921)

Wilson, Lt.-Colonel Sir Arnold T. The Persian Gulf (Oxford 1928)

أمين الريحاني . ملوك العرب . الجزء الثاني

مصادر الباب الثاني

Asqwith, Rt. Hon. H. H. (M. P) The Genisis of The War. (London 1923)

British Documents on The Origins of The War 1898-1914. Vol. VI

The Cambridge History of The British Foreign Policy 1783-1919. Vol. III.

Coke, Richard. The Heart of The Middle East

Earle, Edward, Mead. Turkey, The Great Powers and The Baghdad Railway

—— "The Secret Anglo-German Convention of 1914 Regarding Asiatic Turkey," in The Political Science Quarterly, Vol. XXXVIII. No. 1 of March 1923

Fay, Sidney Bradshaw, The Origins of The World War. Vol. I.

Feis, Herbert. Europe The World Banker, 1870–1914 (Chicago 1930)

German Diplomatic Documents 1871–1914, Vol III, Selected and Translated by E. T. S. Dugdale in 4 Volumes

Gooch, G. P. A History of Modern Europe 1801–1914. (London 1923)

Miller, William. The Ottoman Empire 1801–1903. (London 1913)

Moon, Parker Thomas. Imperialism and World Politics

Parliamentary Debates, House of Commons, Vols. 21. (1911) 22, 53 (1913), 63 (1914), 101 (1910), 120 (1903) and 121 (1903)

—— House of Lords, Vol. 21 (1911) and Vol. 70 (1911)

Parliamentary Papers. No. Cd. 5635. Vol CIII (1911) No. 1.

—— No. Cmd 675

Rohrbach. Paul. German World Policies. Translated by Dr. Edmond Von March. (New York 1915)

مصادر الباب الثالث

American Oil Interests in Mesopotamia. Foreign Policy Association, Information Service, Vol. II, No. 6, May 22, 1926

Anglo-Persian Oil Co. Limited, Protocol Annex (B) of Turco-Persian Frontier Agreement of 4 th and 17 th November 1913

Baker, R. S. Woodraw Wilson and The World Settlement. 2 Vols. (New York 1921)

Bulletin of The Imperial Institute, Vol. 18, 1920

Chesney, F. R. The Expedition. for The Survey of The Rivers Euphrates and Tigris. Vols. I and II

Cotton Growing in Mesopotamia, in The Bullitin of The Imperial Institute, Vol. 18 of 1926

Denny, Ludwell. We Fight For Oil. (New York 1927)

De Warren, Count Edward. European Interest in Railways in the Valley of The Euphrates

Earle, Edward Mead. Turkey, The Great Powers and The Baghdad Railway

—— " The Turkish Petroleum Company—A Study in Oleaginous Diplomacy. " in The Political Science Quarterly. Vol. XXXIX, No. 2 of June 1924

—— " The Secret Anglo-German Convention of 1914 Regarding Asiatic Turkey "

Encyclopaedia of The Social Sciences, First Edition

Encyclopaedia Britannica, Eleventh Edition

Hanighen, F. C. and Anton Zischka, The Secret War (London 1935)

Iraq and British Treaties, in The Foreign Policy Association, Information Service, Vol. VI. No. 12, August 20, 1930

Maunsell, F. " The Mesopotamian Petroleum Field, " in The Geographical Journal, Vol. IX. 1897

Memorandum of Association of Iraq Petroleum Company Limited. Reprinted October, 1928, Bischoff, Coxe, Bischoff and Thomson, 4, Great Winchester Street, E. C. 2. London

Moon, Parker Thomas, Imperialism and World Politics

Notes on The Wheates and Barleys of Mesopotamia Together With Observations on Local Conditions, Agricultural Dept. (Baghdad 1920)

Parliamentary Papers, Cmd. 675 of 1921. " Correspondance Between His Majesty's Government and The United States Ambassador Respecting Economic Rights in The Mandated Territories. "

Report of The Department of Agriculture in Mesopotamia For The Year 1920. (Baghdad 1921)

Sidney Law and L. C. Sanders, The Political History of England, 1837–1901

Soofee, A. A. The Economics of Rice and Cotton Cultivation in The Dialah Liwah. Department of Agriculture, Iraq. (Baghdad 1925)

Temperly, H. W. V. A History of The Peace Conference in Paris. Vol. VI. (London 1924)

Thomas, Captain G. K. The Possibilities of Mesopotamia as a Cotton Growing Country. Notes : II, III and IV. (Baghdad 1919 and 1920)

Turkish Petroleum Company Ltd. — A Convention With Government of Iraq, Made The 14th. of March, 1925 (London and Baghdad 1925)

[وكذلك : « شركة النفط العراقية المحدودة » اتفاق معقود فى ٢٤ آذار سنة ١٩٣١ لتعديل المقاولة المعقودة فى ١٤ آذار سنة ١٩٢٥ مع الحكومة العراقية (الوقائع العراقية ، العدد ٩٨٢ ، ١٩ مايس سنة ١٩٣١)

و « الاتفاق المعقود بين الحكومة العراقية وشركة استثمار النفط البريطانية المحدودة » (الوقائع العراقية ، العدد ١١٣٥ ، ٩ مايس سنة ١٩٣٢)

و « شركة النفط الانكليزية الفارسية » النص العربي لاتفاقية دارسي]

Willcocks, Sir William. The Recreation of Chaldea (Cairo 1903)

—— The Irrigation of Mesopotamia. Second Edition. (London 1917)

—— " Mesopotamia, Past, Present, and Future, " in The Geographical Journal of January 1910

Wilson, Sir Arnold T. Loyalties, Mesopotamia 1914–1917 (London 1930)

—— Mesopotamia 1917–1920. A Clash of Loyalties. (London 1931)

Wimshurst, C. R A Note on The Wheats and Barleys of Mesopotamia, Togather With Observations on Local Conditions. Agricultural Directorate, Mesopotamia (Baghdad 1920)

« اسطورة النفط » وهي ست محاضرات ألقاها السر جون كادمن سنة ١٩٣٠ (مطبعة الاوقات البغدادية ، بغداد ١٩٣٠)

« النفط مستعبد الشعوب » يوسف ابراهيم بزبك (بيروت ١٩٣٤)

مصادر الباب الرابع

Adnan, Dr. A. " Ten Years of Republic in Turkey " in The Political Quarterly, April–June, 1935

Andrew, C. F. " The Renaissance in India, Its Missionary Aspect. " Young People's Missionary Movement. (London, 1912)

Baker, R. S. Woodraw Wilson and The World Settlement

Beauchamp, Joan. British Imperialism in India

Bell, Lady Florance. The Letters of Gertrude Bell. 2 Vols. (New York 1927)

Churchill, W. S. The World Crisis 1910-1915

Cocks, F. Seymoure. The Secret Treaties and Understandings

Coke, Richard. The Arabs Place in The Sun. (London 1929)

Current History. December 1931; June, July and September 1932 September 1933; February, March, April and June 1934

Earle, Edward Mead. Turkey, The Great Powers and The Baghdad Railway

Fox, Ralph. Colonial Policy of British Imperialism

Kohn, Hans. A History of Nationalism in The East. (New York 1929)

—— Nationalism and Imperialism in The Hither East. (London 1932)

Kruger, Dr. K. Kemalist Turkey and The Middle East (London 1932)

Laussanne Conference on Near Eastern Affairs. 1922-1923. Cmd 1814. His Majesty's Stationary Office. (London 1923)

Litrary Digest. December 3, 1927

Moon, Parker Thomas. Imperialism and World Politics

Newmann, Major E. W. Polson. The Middle East (London 1929)

Parliamentary Papers, 1917, No. Cd. 8610 " Report of The Commission Appointed by Act of Parliament To Enquire into The Operations of War in Mesopotamia. "

Reports On The Adminstration of Iraq. Issued by The Colonial Office. His Majesty's Stationary Office, London

Stalin, Lininism in Theory and Practice

Temperly, H. W. V. A History of The Peace Conference

Treaty of Alliance Between The United Kingdom and Iraq Signed at Baghdad, 30 th. June 1930 Together With Notes Exchanged. Cmd. 3627. His Majesty's Stationary Office. (London 1930).

وكذلك النص العربي : « المعاهدة العراقية البريطانية وملحقاتها » (مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٣٠)

قاموس الاعلام

(أ)

ابن الرشيد ١٥ ٣١٤

ابن السعود ١٤ ١٥ ٣١٣-٣٣٢

اتفاقية بيرانجة -- والتر ١٨٦

« بوتسدام ١٣٦

« سان ريمو ١٨٦ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٧ ٢٠٠ ٣٢٩

اتفاقية سايكس بيكو ١٨٤ ١٨٥ ٢٣٦ ٣٢٤ ٣٢٨ ٣٢٩

الآثوريين ٣٣٩

اثينة ٣٠٤

الاحساء ٣ ١١-١٤ ٣١٤

احمد اباد ٣٧

احمد بن سعيد ٨ ٣١

احمد شاه ٢٤٩

ادالية ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٤٢

ادرنة ٢٤١ ٢٤٢

اذربايجان ١٧١

الاراضي المحولة ٢٢٣-٢٢٥

اردشير ٦

ارضروم ٢٢٦ ٢٤٠ ٣٢٦

ارغانا ١٣٧

الارمادا ٢٥ ٢٦ ٣٢

آرمسترونك ٩٣

ارمينيـــة ٢٢ ٧٥ ١٠٦ ١٠٨ ١١٧ ١١٨ ٢٣٧ ٢٤٢ ٣٢٨ ٣٣٠

(الارمن) ٩٩ ٣١١ ٣٣٦ (مذابح) ٩٢

اروهان ٢٩٦

اريفان ٧٥.

ازميد ٨٧ ١٠١ ٢٣٨ ٢٤٢

ازمـــير ١٠٢ ١٠٥ ١٢٣ ٢٣٦ ٢٤٢

اسبانية (الاسبان) ٢٢ ٣٢

استانبول (الاستانة ، القسطنطينية) ١٧ ٣٠ ٤٢ ٥٢ ٥٣ ٦١ ٦٧ ٦٩ ٧٧ ٨٨ ٩١-٩٣ ٩٧ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٨ ١١٦ ١٢٠ ١٢٥ ١٢٩ ١٣٤ ١٣٩ ١٤١ ١٤٧ ١٨١ ١٨٨ ٢٣٢ ٢٣٤ ٢٣٨-٢٤٠ ٢٤٢ ٢٤٤ ٢٥١

٢٩٦ ٢٩٨ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣١٠ ٣٢٦
٣٢٧
استراباد ٤٥ ٤٧ ١٧١
استراخان ٢٢ ٤٧
استراليا ٤٢ ٦٢
استونية ٣٠٤ ٣٠٥
اسكدار ٥٥
الاسكندر الاول ٤٣ ٤٦
« الكبير ٤٣ ٢٤٥
الاسكندرونة ٤٥ ٧٩ ١٠٢
١٠٤ ١١٧ ١٢٣ ٢٣٦ ٣٢٢(ميناء)
١١٤
الاسكندرية ٢١ ٢٢ ٥٩ ٢٧٤
٢٨١ ٢٨٢
اسكندناوية ٢٢
اسماعيل (الخديو) ٢٧٣
اسماعيل حقي ١٣٢
اسماعيل صدقي ٢٧٨
اطنة ١٠٨ ١١٤
اصفهان ٢٧ ٢٨ ٥٥ ٧٥
افيون قره حصار ١٤٤
البانية ٣٠٣
البوظبي ١٢ ١٣
البوعلي ٥ ١٢
البوكرك ٢٣
البوكال ١٩٨
الالزاس ٨٤
اللنبي ٢٧٩
اليزابت (الملكة) ٢٤
اليوت (السرجون) ١٥٩
ام الجمال ١٩٨
ام القصر ١٨
ام الكوابن ١٢
امان الله ٢٥٣-٢٥٧ ٣٠٨ ٣٣٠
الاملاك السنية ١٧٦ ١٧٨
الامنوس ١٠٨ ١١٤
انتورب ٩٣
اندرو (السر وليم) ٧٢
انشكيب (البارون) ١٤٢-١٤٦
١٧٨

انطاكية ٢١ ٢٢ ٧٥ ٧٦
انقرة ٢٤١-٢٤٤ ٣٠٧
الانقلاب العثماني ١٣١ ١٧٨
انور باشا ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٨
انيو (الدرو) ١٩٧
الاهواز ١٦ ٣١٦
اوديسا ٣٥
اوسبرك ٢٢
اوكونور ٦١
اولم ٢٢
اوون (السكولونيل كونلف) ٣٢٩
ايسن ٩٣

(ب)

باروز (الجنرال ادموند) ٢٣٤
باري ٢١
باريس ٤٥ ١٩ ١١٥ ١٢١
١٣٣-١٣٩ ٢٧٨ ٣٠٥
باسيدو ٦٤ ٦٥
باطوم ٢٩٦
باكو ٤٥ ٧٤
بالمرستون (اللورد) ٧٢
بتليس ٣٣٦
البحرين ٣ ٤ ٧ ١٠-١٥ ١٧
٣١ ٥١ ٦٣ ٦٤
بخارى ٢٢ ٢٤ ٥٠ ٧٥
البدعة ١٤
البديع ١٠
براك ١٤
برقة ٨
بركنهيد (اللورد) ٣٢٧
برلين ٩٠ ٩٦ ٩٧ ١٠٣ ١١٦
١٢٨ ١٢٩ (مؤتمر) ٦٦ ٨٦ ١١٨
(معاهدة) ٩٩
برما ٣٥ ١٧٥
برندزي ٢١
بروتوكول ٤ - ١٧ تشرين الثاني
(١٩١٣) ١٨٢ ١٨٣ ٢٢٣
بروسة ٨٧ ٢٤١
بريدة ٣٢١
بريسل (الفون) ١٠٢

بريمن ٩٣ ١٢٨
بسمارك ٨٣-٨٦ ٨٩ ٩٠
بطرسبرغ (بيترسبرغ) ٧٤ ١١٥
بطرس الاكبر ٤٢ ٢٤٥
بعقوبة ١٦١
بكر سامي ٢٤٢ ٢٩٦
بلد روز ١٥٧ ١٦٦
بلفور ١٢٢ ١٢٣ ٣٢٥
البلقان ١٠٠ ١٠٦ ٣٠٣ ٣٠٥
٣١١ (حرب) ١٣٧ (مؤتمر) ٣٠٣
٣٠٤
بلكرلو ١١٣ ١١٤
بلوجستان ٤ ٥ ٤٨
بلي (الكولونيل) ١١ ١٧
البنجاب ٣٥ ٢٦٢ ٢٦٧
بندر ديلام ٤
« عباس ٤ ٦ ٧ ٢٧ ٢٩ ٥٧
٥٨ ٦١
بندرمة ١٣٢
البندقية ٢٠ ٢١
بنسلفانية ١٦٨
البنغال ٣٤ ٣٥ ٣٧ ٥٥ ٢٦٧
٢٦٨
بني خالد ١٤
بني ياس ١٢
بهار ٣٥
بو بيان ٤ ١٨
بوتسدام ١٢٦
بوتمكن ٣٠٥
بوردو ١٠٨
بورنيو ٢١
البوسفور ٨٨ ٨٩ ١٠٧
البوسنة والهرسك ١٣١
بوشهر ٤ ٧ ٢٨ ٥٠ ـ ٥٢
٥٥ ـ ٥٨
بوكستن (الكابتن) ١٦٢
بول بونكور ٣٠٥
بواص ٤٣ ٤٥ ٤٩
بولندة ٣٠٤
بولو (الفون) ٩٢

بولى ١٣٧
بومبي ٣٧ ٥٢ ١٠٨ ٢٦١ ٢٦٧
٢٦٨
بوير (حرب) ١٠٤
بيبرستاين (مارشال فون) ٩٠ ٩١
١٠٥ ١٢٩ ١٣٠ ١٤١
بيبس (منتاكو) ١٩٧
بيرار ٢٧٠
بيرانجة (هنري) ١٧٣ ١٨٥ ١٨٦
بيرثلو (المسيو) ١٨٦
بيركان (كارل) ١٨٠
بيروت ٩٣ ١٠٥ ١٠٨
بيزا ٢٠ ٢١
بيشو (المسيو) ١٣٣
بيكر (المستر) ١٨٥
بيل (المس) ٣٢٢ ٣٢٩

(ت)

تاردبو ١٨٤ ١٨٦
تارنتو ١٢
تبريز ٢٢ ٧١
تدمر ٧٩
ترابزون ٣٢٦
ترعة الحفار ٤
تركستان ٢٤ ٥٨ ٦٨ ٧٤ ٢٥٣
٢٧١ ٢٩٤ ٢٩٦ ٣١١ ٣٢٧
تريس ٢٤١
تفليس ٧٤ ٣٢٦
تقي خان ٢٤٥
تكريت ٢٣٦
تنجور ٣٥
تمبرلي ١٨٥
توفيق باشا ٢٩
توفيق رشدي ٣٠٢-٣٠٦
تونس ٨٤ ١٠٠ ١٠٦
التيبت ٦٢ ٣٢٦ ٣٢٧
تيبو صاحب ٤٤

(ث)

ثروت باشا ٢٧٩
الثورة الاميركية ١٥١
« التجارية ٨٣

الثورة الدينية ٨٣
« الصناعية (النهضة) ٢٠ ٤٢
٨٣ ٨٥ ١٥٢
الثورة الفرنسية ٢٠ ٢٩ ٨٣ ١٣١
٢٧٢

(ج)

جافا ٢٣ ٢٥
جاويد ١٣٢ ـ ١٣٤ ١٣٧ ٢٣٢
٢٣٣
جبل صهيون ٩١
« طارق ٥٦
الجزائر ١٠٦
جسك ٤ ٢٦ ٥٦ ٥٧
جسني ٦٩ـ٧٢ (بعثة) ٥٨ ١٥٥
جمال باشا ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٨
جمال الدين الافغاني ٢٤٥
جمعية اتحاد الاسلام ٢٥٠
« الاتحاد الاسرائيلي ٩٦
« الاتحاد والترقي (الاتحاديين)
١٣١ـ١٣٤ ١٤٠ ١٧٨ ١٧٩ ٣١١
٣١٥
جمعية البعثة الالمانية في الشرق ٩٦
« الخلافة ٢٤٢
الجمعية الخديوية الزراعية ١٥٩
جمعية زراعة القطن البريطانية ١٥٢
١٦٥
جنوة ٢٠ ٢١
الجهرة ٣
الجواسم ٨ ١٢ ٥٠
جواهرلال نهرو ٢٦٨
جورج (لويد) ١٢٦ ١٨٤ـ١٨٦
٢٤٣ ٣٢٧
جورجية ٤٦ ٤٩
الجوف ٣٢١
جوفر (الجنرال) ١٤٨
جون سيمون (بعثة) ٢٦٧ ٢٦٨
جونسن (السر هارفرد) ٤٩

(ح)

حبيب الله ٢٥٤
حديثة ١٩٨ ٢١٣

الحرب الاهلية الاميركية ١٥٢
حسن باشا ١٤
حسين (الشريف ، الملك) ٢٣٥
٣١٥ ٣١٦ ٣٢١-٣٢٤
حقي باشا ١٤١ ١٨٠ ١٨١
حلب ١٧ ٢٢ ٥٨ ٧٢ ٧٥ ٩٦
١٠٥ ١٠٨ ١١٠ ١١٤ ٢٣٦ ٣٢٢
حلمي باشا ١٣٠
الحلة ١٦١ ١٦٣
حما ١٠٨ ٣٢٢
حمد الباسل ٢٧٨
حمص ١٠٨ ١٣٧ ٣٢٢
حيدر باشا ٩٢
حيفا ٢١ ٩٣ ٩٦ ١٣٧ ١٩٨
٣٣٠ ٣٣٣

(خ)

خانقين ١٠٣ ١٠٩ ١٢٧ ١٣٦
خراسان ١٧١
خربوط ١٠٨ ١٣٧
خزعل (الشيخ) ٣١٥
الخلافة ٣٢١
الخميسية ٣٣٣
خوارزم ٥٠
خور الزبير ٤ ١٩
« عبدالله ٨٠
« موسى ٤
خيوة ٧٥

(د)

دارسي ٦٢ ١٧١ (امتياز) ٦٢
١٨٣ ٢٢٤ ٢٢٦ (جماعة ، شركة)
١٤٣ ١٤٤ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٩٦
الدانوب ٤٧
داود باشا ٥٣
داوسن (الكابتن) ١٦٢
الدبي ١٢ ٦٥
الدردنيل ٨٨
الدروز ٣١٢
دريك (ادورد) ١٦٨
دلهي ٥٥ ٢٦٩
الدواسر ٥

ديار بكر ٦٠ ٨٠ ٨٧ ١٠٨ ١٣٧
٢٣٦
ديتردنك (هنري) ١٧٠ ١٨٠
١٨٤ ١٩٠ ١٩٦ ٢٢٧
الدير ٢٣٦
ديلادية ٣٠٥
ديلامين ١٨٣ ٢٣٤
دي لسبس (فرديناند) ٦٧
ديفيكن (الجنرال) ٢٩٦

(ر)

راجبوتانا ٣٥
رأس الحد ٣
« الرجاء الصالح ٥ ٢٠ ٢٥ ٦٦
٨٣
رأس العين ١١٤
« الكلبة ١٢
رتشي (آدم) ١٩٩
رج (كلوديوس جيمس) ٥٢
رشدي باشا ٢٧٨
رضا (المرزا) ٤٦
رضا شاه (پهلوي) ٢٥١ ٢٥٢
٣٠٦
الرطبة ١٩٨ ٢١٣
الرفاع ١٠
رونشيلد (اللورد) ٣٢٥
رودس (سسل) ١٢١
رود كلف ٦٧ ٦٩ ٧٢
روزفلت ١٧٧
روكفلر (جون) ١٦٨
روما ٢١
رومانية ١٨٥ ١٨٦ ٣٠٤
روميو (الكولونيل) ٤٥
روهرباخ ٩٤ ١١٦ ١٥٥ ١٧٦
الرياض ١٧ ٣١٤ ٣٢٤
ريكسبرك ٢٢

(ز)

زابرون ٦
الزبارة ١٠
الزبير ١٠٩ ١٦١ ٣٣٣
زغلول (سعد) ٢٧٧-٢٨٢ ٢٩١

زينوفيف ١١٧ ٢٨٩

(س)

سادجة ١٠٨ ١٠٩ ١١٤

سامراء ١٠٨

ساندرس (ليمان فون) ١٤٧

سايكس ١٣٩ ١٤٠ ٣٢٤

ستار (رولاند) ٣٢٩

ستالين ٢٩٦

ستور ٣٢٤

ستيورد (باترك) ٥٥

سرجوفا ١٤٥

سعدون باشا ٣١٥

سعيد (السيد) ٨

سلانيك ٣٠٤

سلطان بن احمد (السيدسلطان) ٨

٣١ ٥٠

سلمان ٣٣٣

سليمان باشا الكبير ٣٠

سليمان القانوني ١٤

السليمانية ١٠٠

السمارة ٣٣٣

سمث (هنري بابتكن) ١٣٥ ١٨٠

سمرقند ٢٢ ٥٠

سنت هيلانة ٤٨

السند ٣٥ ٤٧

سنغابور ٢٦٢

سن يت سن ٢٩٢

سهل الباطنة ٣

السواحل المهادنة (سواحل القرصان)

٣ ١٢ ١٣ ٥١

سوانسي ٢٠٥

سورات ٢٥ ٥٠

السويدا ٧٢ ٧٩

السويس ٤٤ ٥٦ ٣٣١ (برزخ)

٧٧ (ترعـــة) ٦٧ (قناة) ٦٨

٧٢ ـ ٧٤ ٧٧ ٨٦ ٩٨ ١١٦ ١٢٤

١٢٧ ٢٣٣ ٢٧٣ ٢٧٦ ٣١٣(شركة)

١٤٣ (منطقة) ٢٨١

سيدل (هاري جورج) ١٩٧

سيشل ٢٧٩

سيلان ٢١ ٢٣
سيليسية ٨٧ ١٠٥ ١٠٨ ١٤٦
٢٣٦ ٢٣٧ ٢٤٢
سينا ٩٨ ٢٣٦
سيواس ١٢٧ ٢٣٦ ٢٤٠

(ش)

الشام (دمشق) ٢٢ ٥٨ ٦٩ ٧٩
٩٣ ١٠٥ ١٠٨ ٢٣٦ ٣٢٢
شامبران (جوزيف) ١٢١
الشبيبي (رضا) ٢٠٠
الشرجة ١٢ ٦٤
شرشل (تشرشل) ٦٣ ١٢٩ ١٧٠
١٨٢ ٢٣٤ ٢٤٣ ٢٧٩ ٢٨٠ ٣٢٧
٣٢٩ ٣٣٠
شرق الاردن ٢٣٩ ٣٢٦ ٣٣٠-
٣٣٢
شركة ازمير — طابدين ١٢٣ ١٤٤
١٤٦
الشركة التركية ٢٤
شركة سكة حديد وادي الفرات ٧٢
شركة الطيران الامبراطورية ٦٣
الشركة العثمانية للملاحة ١٤٢ ١٤٤
شركة ما بين النهرين (لنج) ١٦
١٠٩ ١٢٣ ١٣٠ ١٤٢
شركة استثمار النفط البريطانية ١٩٩
٢١٨ ٢٢٣ (اتفاقية) ٢١٨-٢٢٢
شركة استثمار الشرق الادنى ١٦٩
١٩٧
شركة التعاون والاستثمار ١٩٦ ١٩٧
« ستاندرد ١٧٦
« النفط الانكليزية الفارسية ١٦
٦٢ ٦٣ ١٤٣ ١٤٤ ١٧١ ١٨٠ -
١٨٣ ١٩٥ ٢١١ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٣٥
شركة النفط التركية ١٤٤ ١٧٩ -
١٨٧ ١٩٢-٢٠٠ ٢٢٥ (امتياز)
١٠٠ (العراقية) ١٩٩ ٢٠٩ ٢١٨
٢٢٠ (مقاولة) ١٩٩ ٢١٨
شركة نفط خانقين ٢٢٣ (مقاولة)
٢٢٤ ٢٢٦
شركة النفط السكسونية ١٧٩-١٨١

١٩٧
شركة النفط السكوتلندية ١٤٣ ١٩٦
» » الفرنسية ١٩٦ ١٩٧
» » الهولندية الملكية ١٤٥
١٧٩-١٨٤ ١٩٥ ١٩٦
شركة الهند الشرقية ٨ ١٥ ٣٤
٥٧ ٢٥٩ ٢٦١
شركس ٢٧٥
شستر (الاميرال) ١٧٧ ١٧٩
٢٠٠
شستر (موركان) ٢٥٠
ششتر ٥٨ ٧٥
الشعيبة ٣٣٤
شكسبير (الكابتن) ٣١٤ ٣١٦
٣٢١
شمر ٥
شنعار ١٥٦
شيخ شعيب ٤
شيراز ٥٥ ٥٨
شيشرين ٢٩٧

(ص)

صفوان ١٨
صفلاوية ١٥٧
صلاح الدين ٩١
صلح راوال بندي ٢٥٥
الصليبيون ٢١ ١٩ ١٥١ (حروب)
٢١
صمصوم ١٣٧
صموئيل (والتر) ١٨٠ ١٨٥
١٨٦
الصهيونيين ٣٢٥
صومطرة ٢١
صومة ١٣٢
الصين ٢٠-٢٢ ٥٨ ١٢٢ ١٤٣
٢٥٦ ٢٦٧ ٢٨٥ ٢٨٩

(ض)

ضياء الدين ٢٥١

(ط)

طاشقند ٢٩٩
طالب باشا (السيد) ٣١٥ ٣١٧

الطبري ١٠
طرابلس (الشام) ٢٥ ٧٩ ٩٣
١٠٣ ١٩٨ (الغرب) ١٠٠ ١٣٧
طربزون ٣٣٦
طلعت باشا ٢٣٢ ٢٣٨ ٢٩٦
طهران ٥٥ ٥٦ ٧١ ١٠٩ ٢٤٦
٢٤٩ ٢٥١
طورس (جبال) ١٠٨ ١١٤

(ع)

عبادان ٤ ٦٣ ١٨٣ ٣١٨
عباس الاول ٧ ١٠ ٢٥ ٢٧
عباس (الخديو) ٦٧ ٦٨
عباس مرزا ٢٤٥
عبدالله (الامير) ٣٣٠
عبدالحميد (السلطان) ٨٩ ٩٢
١٠٢-١٠٦ ١١٣ ١١٤ ١٢٦ ١٣١
١٧٦ ١٧٨ ٢٧٦ ٢٨٤ ٣١١
عبدالرحمن (الامير) ٢٥٤
عبدالعزيز (السلطان) ١٠١
العبيد ١٢ ١٣
العتوب ١٠ ١٦ ١٧
العجمان ٥
عدن ٤٨ ٥٦ ٣١٣ ٣٢٠
عرابي باشا ٢٧٥-٢٧٧ (الحركة
العرابية) ٦٨
عرباستان ٤ ٥ ١٥ ١٦
عصبة الامم ٣٠١-٣٠٥ ٣٣٧
عصمت باشا ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٦
٣٠٧
عشقباد ٧٤
العقبة ٣٣١
العقير ١٣
عكا (خليج) ٢١٣ ٢١٦
علي باشا ٢٩
علي رضا ٢٤٠
العمارة ١٣٤ ١٦١
عمان ٣ ٧-١٠ ٢٣ ٣٣١
عنزة ٣٢١
عنة ٦٩ ٧٠
عيسى الخليفة (الشيخ) ٦٤

عينتاب ٣٢٦

(غ)

غاردان (الجنرال) ٤٦

غاليبولي (معركة) ٣٢١ ٣٢٢

غاليسية ١٨٥ ١٨٦ ٢٣٣

غاندي ٢٦ ٢٦٦-٢٧١

غزنة ٤٧

غزة ٩٣

غورست (ايلدن) ٢٧٦

غيلان ١٧١

(ف)

فاسكو دي جاما ٢٠ ٢٣

الفاو ١٩ ٥٥ ٥٧ ٣١٨ (سد) ٤

فتحي بك ٢٤٣

الفراعنة ١٧٥ ٢٧٢

فرديناند (الملك) ١٣١

فريد (الدامار) ٢٣٩-٢٤١

الفلاحية ١٥

فلبي ٣٢٩

فلسطين ٤٨ ٩٦ ١٠٦ ١١٩ ١٩٧ ١٩٨ ٣٢٦-٣٣٠

الفلوجة ٥٨ ٧٠ ٧١ ١٦١ ١٦٦

فلورنسة ٢٠

فنزويلا ١٨٢

فنلندة ٣٠٤

فودن (جون) ١٥٩

الفولكا ٢٢

فيبر (المستر) ١٦٥

فيشر (اللورد) ١٦٩ ١٧٠

فيصل (الامير ، الملك) ٣٢٣ ٣٣٠

فيليب الثاني ٢٥ ٢٦ ٣٢

(ق)

فارس ٧٥

القاهرة ٢١ ٢٢ ٤٤ ٢٣٩ ٢٧٤ ٢٧٦ ٢٧٨-٢٨١ ٣٢٠-٣٢٤ ٣٢٩

(مكتب) ٣٢٠-٣٢٤ (مؤتمر) ٣٢٩

قبرص ٤٨ ٦٦ ٨٦ ٣١٣

القدس (بيت المقدس) ٩١ - ٩٦ ١٠٨ ٣٢٠

قصر جابر ٧٩
قشم (الجزيرة الطويلة) ٤ ٢٧ ٥٧
٦٤ ٢٥٣
قطب الدين ٦
القطر ٣ ١٢-١٤
القطيف ٣
القفقاز ٥٦ ٩٨ ١٠٠ ١١٧ ٢٩٦
٣١١ ٣٢٧ ٣٣٠
قم ٢٤٧ ٢٥٢
قندهار ٤٧
قونية ٨٧ ٩٦ ١٠٤ ١٠٧ ١٠٨
١١٢ ١١٣ ١١٨ ٢٣٦ ٢٣٧
القيارة (آبار) ٢٢٠
قيس ٤

(ك)

كابل ٢٥٦ ٢٩٩
كاربت ١٦١
كاردن (الاميرال) ٢٣٤
كادمن (جون) ١٨٦ ١٩٤ ١٩٦
كارون ٤ ١٦ ٧٠
كاسل (ارنست) ١٣٠-٣٣
١٨٠
كاليا ١٠٨
كاليكوت ٢٠
كراچي ٥٦ ٨٠
الكرادة ١٦٤
كرانبورن (اللورد) ١٢٢
كراهام ١٦١
كراو ١٨٠
كردستان ٥٩ ٩٨ ٩٩
٣٢٨ ٣٣٠ ٣٣٩ (القضية الكر
٣٣٩
كرزن ٦٠ ١٢٥-١٢٨ ١٦٠
٢٧٨-٢٨٠
كركوك ١٧٤
كرمان ٥٨
كرمنشاه ٥٥ ٥٨
كرو (اللورد) ٢٨٠ ٣٢٤
كروب ٩٣
كروثه (هوكو) ٩٦

كروفرد (ريتشارد) ١٢٢
كروس (اللورد) ٢٧٦
كرى (ادورد) ١٢٦-١٢٩ ١٣٥
١٤٥ ١٥٨ ٢٣٤
كرينوى (تشاراس) ١٨٠
كشنر (اللورد) ٢٧٦ ٣١٥ ٣٢٢
كمب ٥ ١٥ ١٦ ٢٩
كلايتن ٣٢٩
كلكتة ٣٥ ٤٩ ٥٠ ١٠٨ ٢٦٨
كليف (اللورد) ٣٤ ٣٥
كليمنصو ١٧٢ ١٨٢-١٨٦
كمبرون ٧
كندا ١٦٧
كوبرت ٢٨
الكوت ١٣٤ ١٥٧ ١٦١ ٣٢١
٣٢٢
كورية ٢٠ ٢٩٠ ٢٩١
كوكس (برسي) ١٨٣ ٢٥١ ٣١٨
٣٢٨ ٣٢٩
كولبنكيان ١٨١ ١٩٧
كولي ١٩٣
كولتز (الفون در) ٨٦ ٩٤ ٩٧
كولومبس ٢٠
كوهلمان (الهر) ١٨٠
كوهن (روبرت) ١٨٠
كونستانس ٢٢
كونستنزا ٩٢
كوهنفيلد (البارون فون) ٧٤
الكويت ٣ ١٦ - ١٨ ٦١ ٦٤
٧٩ ٨٠ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٩ ١٣٥
١٤١ ١٤٢ ٣١٣-٣١٨ ٣٢٩ (شيخ)
١٢٥ ١٤٢
كوينز (الدكتور) ٩٧
كوينزلند ١٤٣
كيرال ٣
كيرول (روبرت) ١٩٧
الكيلاني (رشيد عالي) ٢٠٠
كيلنك (الكابتن) ١٠٠

(ل)

لابلند ٢٤

لبنات ٣١٢ (اللبنانيون) ٣١١
٣١٢
لتفية ٣٠٤ ٣٠٥
لتفينوف ٣٠٤ ٣٠٥
لتوانية ٣٠٤ ٣٠٥
لختاوسكي (البرنس) ١٤٥ ١٥٨
لرك ٤
لنج (جون) ١٤٣ ١٤٤
لنجة ٤ ٥٨
لندن ٤٩ ٥٤ ٥٥ ٦٧ ٦٩ ١١٥
١٢٢ ١٢٨ ١٣٣ ١٣٥ ١٤٠-١٤٥
١٥٨ ١٨١ ٢٣٥ ٢٤٣ ٢٤٦ ٢٧٨
٣٢٢
لنكشير ١٥١ ١٥٢ ٢٧٤
لورستان ٥٨
لورنس ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٩
اللورين ٨٤
لونسدون(اللورد) ٦١ ١٢٢ ١٢٣
١٢٨
لونكرك ٥٣
لويد (اللورد) ٣٢٤ ٣٢٩
لويد (جون بوك) ١٩٦
لويس الرابع عشر ٢٨ ٣٢
ليبزك ٩٦
ليدوك لوبي ٩٣
لي ستاك (السردار) ٢٨٠

(م)

ماردين ٦٠ ٣٢٦
الماسونية ٢٤٦
المارن (معركة) ٢٣٣
المارونيين ٣١١ ٣١٢
ماري تيودور ٢٤
مازندران ١٧١
ماكولي ٣٥
مالطة ٤٨ ٥٦ ٢٣٤ ٢٤١ ٢٧٨
٣١٣
مالكولن (جون) ٤٩ ٥٠
ماليسون (ولفرد) ٢٥١
مبارك (الشيخ) ١٨ ٣١٤
المجر ٩٨ ٩٩ ١٠٢

المجلس الوطني الكبير ٢٤١-٢٤٤
محمد (المرزا) ٥٠
محمد الخامس (السلطان) ٢٣٨
٢٣٩
محمد سعيد باشا ٢٧٧
محمدعلي (الشاه) ٢٤٨
محمدعلي الكبير ١٤ ٦٦ ٦٧ ٢٧٢
محمد محمود باشا ٢٧٨
المحمرة ٤ ١٥ ١٦ ٥٨ ٨٠ ٣١٣
٣١٥ ٣١٧ ٣١٨
محمود باشا ١٠٤
محمود حسني المرابي ٢٨٢
محمود شوكت باشا ١٢٩
المحيسن (قبيلة) ١٦
مدحت باشا ١٣-١٥ ١٩
مدراس ٣١ ٢٦٨
المدينة ٣٢٠
المدينة [بضم الميم] (هدنة) ٢٤٤
مراكش ١٠٦
مرسيلية ١٢٠
مرسينا ١٠٢ ١٢٣ ٣٢٢
مرعش ٤٥
مسقط ٣ ٧-١٠ ٣١ ٤٤ ٩
٤٩-٥٢ ٥٧
المشهد ٤٥ ٤٧
مصطفى كامل ٢٧٥ ٢٧٦
مصطفى كمال ٢٤٠ - ٢٤٣ ٢٩٦
٣٠٧
مطرة ٣ ٨
مظفر الدين شاه ١٧١ ٢٤٦
معاهدة ارضروم ١٩
« البحرة ٣٣٢
« تلست ٤٧ ٤٩
« الحدة ٣٣٢
« زازانوف - باليلوك ٣٣٦
« سن ستيفانو ٦٦
« سيفر ٢٣٨ ٢٤١ ٢٤٢
٣٢٩
معاهدة فنكستاين ٤٦
المغول ٦ (الحكم المغولي) ٣٤

(منغولية) ٢٩٠ ٢٩٤
المقيم البريطاني (في الخليج) ١١
١٣ ١٤ ١٨ ٣١٧ ٣١٨ (في بغداد)
١٥٩
مكدونالد ٢٧٩ ٢٨٠
الملكسيك ١٨٢
مكة ١٠٥ ٣٢٠ ٣٢٣
مكماهون (ارثرهنري) ٢٣٥ ٣٢٢
ملاقا ٢٣ ١٢٥
ملكولم خان ٢٤٦
ملنر (بعثة) ٢٧٨
المناوي ٢٨
المنتفك ٣١٧
منشستر ٥٨ ٥٩
مؤتمر الشعوب الشرقية ٢٨٨-٢٩١
» الصلح ١٨٥
» الطاولة المستديرة ٢٦٩ ٢٧٠
» لوزان ٢٩٧
» نزع السلاح ٣٠٣
» النفط ١٧٢
المؤتمر الوطني الهندي ٢٦٢-٢٧٠
مود (الجنرال) ٢٢٥
موسكو ١٠٨ ٢٥١ ٢٥٤ ٢٨٢
٢٩٠ ٢٩٦-٣٠٦
موسوليني ٣٠٥
ميترنيخ (المكونت) ١٢٨
ميد ١٢٥
ميرسية (ارنست) ١٩٧
ميسور ٣٥
ميناب ٦

(ن)

نابلس ٩٣
نابليون (بونابرت) ٢٠ ٢٩ ٤٣-
٤٩ ٥٢ ٦٦ ٦٩ ٨٣ ١١٩ ٢٤٥
٢٧٢ ٣١٣ (الثالث) ٦٧
نادر شاه ٧ ١٥ ٣١ ٢٥٦ ٢٥٧
النازي ٣٠٥
ناصر بن المرشد (السيد) ٧
ناصر الدين شاه ٢٤٥ ٢٤٦
الناصرة ٩٣

الناصرية ١٦١ ١٦٣
نانكنك ٢٣
نيوخذ نصر ١٧٥
نجد ٥ ١١ ١٤ ١٥ ١٧ ٣١٤
٣١٦ ٣١٧
نصيبين ١٣٧
النمسة ٤٧ ٦٦ ٩٨ ٩٩ ١٠٢
١٣١
النواحي التسع المحمية ٤٨
نورمبرك ٢٢
نوري السعيد ٣١٥
نوري الشعلان (الشيخ) ٣٢١

(هـ)

هتنوفيلد (الكونت) ٨٦
هركنتن (الجنرال) ٢٤٣
هرمز ٤-٨ ٢٢ ٢٣ ٢٥ ٥٠
هرا كليه ١٣٧
هرون الرشيد ١٥٤
همبرك ٩٣
هملتون (الجنرال) ١٢٩
هملتون (الكولونيل) ٣٢٩
هملتون (اللورد) ٦٠
هنجام ٤ ٥٦ ٥٧ ٦٤ ٢٥٣
الهندية ١٥٧
هولدين (اللورد) ١٢٦ ١٤٠ ١٤١
هولند (المستر) ١٦٣
هيئة الديون العثمانية ٩٩-١٠٢
١٠٥ ١٣٥
هيت ٧٠ ١٧٥ ٢١٣ ٢١٦
هيرات ٤٥ ٤٧ (طريق) ٤٨
هيرودوتس ١٥٤
هيوت (جون) ١٦٦

(و)

وادي الرمه ٣٣٢
« سرحان ٣٣٢
« الميه ٣
وان ١٣٧ ٢٣٦ ٣٢٦
وانكنهايم (البارون فون) ١٤٧
وبستر ١٦٣
وتي ١٠٣

وثوق الدولة ٢٥١
الوحدة الاسلامية ١٠٦ ١٢٠ ١٢٧
١٣٤ ١٣٧ ٢٤٥ ٢٥٤ ٢٧٦ ٣١١
٣١٤ ٣١٦-٣٢٠ ٣٣٩
الوحدة العربية (القضية) ٣١١
٣١٥-٣١٧ ٣٢٥ ٣٣٩
الوفد المصري ٢٧٧-٢٨٢
ولسن (الرئيس) ١٦٦ ١٧٢ ١٧٣
١٨٢ ١٨٥
ولسن (المستر) ١٦٣
ولستيد ٥١
ولكوكس (وليم) ١٣٢ ١٥٥
وليم الثاني (القيصر) ٨٤ ٨٦
٨٩-٩٢ ٩٥ ١٢١ ١٣١ ١٣٦
وليم الرابع ٧١
ولي محمد خان ٢٥٤
ومسهرست (الميجر) ١٦٣
الوهابيين ٩ ١٠ ١٤ ١٥ ١٧
٢٧٣

(ي)

اليابان ٤١ ١١٨
يافا ٩٣ ١٠٨ ١٣٧
يزد ٥٨
اليمن ٢٣
يوجين (الامبراطورة) ٦٧